

## مذهب الأشاعرة وأثره في تحقيق السلم في المجتمع دراسة نظرية تطبيقية

د. مروة حسني محمد أبو دهب (\*)

### المقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا مضل له، ثم أمّا بعد

...

مسائل العقيدة من أهم النقاط شديدة الخطورة في الدين الإسلامي، وذلك لأن أي تأويل خاطئ فيها قد يترتب عليه فهم يخرج بصاحبه عن طريق الصواب في أصول دينه وعقيدته، ولذلك تتأتى أهمية مسائل العقيدة من أنها تتعلق بجوهر ثوابت الدين الإسلامي، والتي ترتبط بذات الله وصفاته، وغيرها من مسائل العقيدة المتمثلة في السمعيات، والنبوات، والإلهيات، وبالنظر إلى المذاهب العقائدية نجد أن من أهمها كان المذهب الأشعري الذي حافظ على جوهر الوسطية في الإسلام، ولكنه بات تشوبه بعض التصورات الخاطئة عنه انطلاقاً من فكر بعض منتسبيه المحدثين.

فمذهب الأشاعرة تعرض من طرف خصومه وبعض أبنائه من المتأخرين لنقد لاذع؛ بسبب اعتماد المذهب على القياس العقلي القائم على إلحاق الغائب بالشاهد في جل أبواب العقيدة. وهذا النقد صدر عن مرجعيات علمية ومنهجية متعددة، فكان نتاج ذلك أن أسفر عن نتائج تقويمية وأحكام قاسية وضعت العقيدة الأشعرية "موضع المسائلة والتحقيق"<sup>(١)</sup>.

والمطالع لواقع مجتمعاتنا الحالية يجد أن الأخلاق هي الوسيط الذي لا بد من وجوده لكي يستطيع الإنسان الانسجام مع أخيه، فهي تهذيب لنفس الإنسان ظاهراً وباطناً، وبها تشيع الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع الواحد، ولنا في رسول الله - ﷺ - وأصحابه الأسوة الحسنة، فقد كان الصحابة بأخلاقهم نموذجاً واقعياً لتحقيق السلم المجتمعي، فقد كانوا خير القرون، ولكن مجتمعاتنا اليوم قد باتت تشهد واقعاً مختلفاً عما كان عليه السلف الصالح، فالواقع المتحقق على أرض الواقع الآن هو أن المجتمعات الإنسانية أصبحت تعاني من القلق والاضطراب، وذلك على الرغم من أنها بلغت مبلغاً عظيماً من التقدم المادي الذي لم يشهده أي عصر من قبل، الأمر الذي يدل على أن لا سلم إلا بالخلق

(\*) مدرس العقيدة بقسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة سوهاج.

(١) محمد أمين السقال، (٢٠١٦م): الاستدلال بالشاهد على الغائب في المذهب الأشعري: من نقد المواقف إلى بناء العقائد، مجلة الإبانة، مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقيدية، الرابطة المحمدية للعلماء، العدد (٤)، ص ٦٩.

القويم، فكما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله".

وبناء على ما سبق تحاول الدراسة الحالية الوقوف على أثر مذهب الأشاعرة في تحقيق السّلم في المجتمع، وذلك لأهمية المسائل العقيدية عند الأشاعرة، ما يجعله موضوع تحسبه من الجسامة والخطورة بـمكان بسبب ارتباطه البنيوي بالعقيدة مضموناً ومنهجاً، ولتأثيره الذريع الذي أحدثه على أصعدة متعددة على صعيد فهم العقائد الدينية وإفهامها، وعلى إنشاء الدعاوى والتدليل عليها، وعلى صعيد نسيج العلاقات التي تربط المذهب الأشعري بباقي الفرق الكلامية والمذاهب العقيدية اتصالاً وانفصالاً، توثيقاً وتجهيلاً.

### أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة الحالية في أنها تحاول معالجة قضية هامة تتمثل في:

- 1- أن الدراسة الحالية تتطرق إلى قضية شائكة وشديدة الخطورة في جوهر الدين الإسلامي، ألا وهي محال الوقوف على أثر مذهب الأشاعرة في تحقيق السّلم في المجتمع.
- 2- أن البحث الحالي جاء موضوعه ليكمل بحر الدراسات المتعلقة بالعلوم المنبثقة عن الأساس الذي يمثل أصل الدين الإسلامي الحنيف، ألا وهو السنة النبوية المطهرة، التي تمثل المفسر والشارح لجوهر الدين الإسلامي، فأحكام الله جاءت في محكم آياته مجملة، وجاءت السنة النبوية لتفسر تلك الأحكام الجامعة وتوضحها.
- 3- أن هذه الدراسة تتطرق لأحد أهم المذاهب العقيدية، وهو مذهب الأشاعرة، وتتأتى أهمية هذا المذهب في أن انصاره انتهجوا أسلوب أهل الكلام في تقرير العقائد والرد على المخالفين.
- 4- أن مسائل العقيدة التي تدرج تحت المذاهب العقائدية عامة، والتي من أهمها مذهب الأشاعرة خاصة تمس جوهر الدين الإسلامي؛ فالعقيدة لها من الأهمية بـمكان ما يوجب ضرورة دراسة أحوالها وأدلتها النقلية والعقلية؛ وذلك لكي يستقيم إيمان الفرد المسلم ويتجنب كافة شوائب الانحراف في تلك المسائل.
- 5- أنه انطلاقاً من أهمية مذهب الأشاعرة وأهمية المسائل العقائدية فإنه لا بد من دراسة المسائل العقيدة عند أحد أهم المذاهب العقائدية - مذهب الأشاعرة- من خلال الفكر الوسطي الذي يحقق السلم المجتمعي، وذلك نظراً لاختلاف الآراء حوله وحول أدلته حتى من أبنائه المتأخرين.
- 6- أن الباحثة تعمل على المساهمة في تزويد المكتبة العربية والإسلامية بدراسة موضوعية عن مذهب الأشاعرة وأثره في تحقيق السلم في

المجتمع، وذلك بأنها تحاول إضافة ولو قطرة يسيرة لبحر العلوم الإسلامية والعقائدية المترامي الأطراف، بطريقة علمية، منهجية، وسطية.

### مشكلة الدراسة:

في هذه الدراسة تحاول الباحثة عرض أثر مذهب الأشاعرة في تحقيق السلم المجتمعي، خاصة وأن هناك جدال بين أصحاب المذهب الأشعري، فالمذهب الأشعري رغم وسطيته في الحكم في المسائل العقائدية إلا أن مسألة التكفير عند متأخري الأشاعرة في مسألة إطلاق الكفر والبدعة على المخالف، وفقد تأثروا بعلوم الفلسفة والكلام مما أوقعهم في التكفير انطلاقاً من تلك الأصول، وهم بذلك قد فارقوا منهج شيخ مذهبهم أبي الحسن الأشعري والمتقدمين من الأشاعرة، الذين كانوا ينتهجون منهج الوسطية، ولذلك تدور مشكلة الدراسة الحالية حول محاولة معالجة النقاط الأساسية الآتية:

- التساؤل الرئيسي، والمتمثل في:

ما هو أثر مذهب الأشاعرة في تحقيق السلم في المجتمع؟

- ولكي يقف القارئ على الجواب الشافي لهذا التساؤل الرئيس للدراسة، لا بد للدراسة الحالية أن تجيبه على بعض التساؤلات الفرعية التي تنبثق عنه، التي تعد بمثابة درجات السلم الذي يصل بالقارئ إلى الجواب الصحيح، وهذه التساؤلات الفرعية هي:

- ما هو مذهب الأشاعرة؟
- ما هو السلم المجتمعي؟
- كيف يمكن تحقيق السلم المجتمعي؟
- ماهية المسائل العقائدية التي من خلالها يحقق مذهب الأشاعرة السلم

في المجتمع؟

### أسباب اختيار الموضوع:

لقد اختارت الباحثة موضوع الدراسة الحالية؛ لكي تحاول معالجته؛ لأنها من مطالعتها لأهم الدراسات التي أجريت حول مذهب الأشاعرة وجدت أن هذا المذهب هو من أهم المذاهب التي نأى علماءها بأنفسهم عن الخروج بالأفكار الإسلامية عن منهج الوسطية، فقد حصن علماء الأشاعرة أنفسهم من ويلات التشدد، ما جعل هذا المذهب يصمد في وجه مختلف التيارات الفكرية المختلفة التي عرفتها الأمة الإسلامية؛ وذلك لما يتميز به من وسطية واعتدال، والتي باتت سمة مميزة لمذهب الأشاعرة عامة؛ وبذلك سلم فكر علماء الأشاعرة من الشبهات، والتشيعات، والنزوات، ولذلك فهو من المذاهب العقائدية التي تستطيع

تحقيق السلم في المجتمع الإسلامي، ولذلك تتبلور الأسباب التي دفعت الباحثة لاختيار الموضوع الحالي في الأسباب الآتية:

➤ ضرورة انتباه الباحثين إلى أهمية عقد دراسات متعددة في ميادين مسائل العقيدة الإسلامية، وذلك للتصدي لهجمة الغرب والمتطرفين على ثوابت الدين الإسلامي.

➤ أهمية وعي الباحثين بأبعاد قضايا العقيدة وضرورة تصحيح المفاهيم المتعلقة بها وفق ضوابط الشرع الشريف، وتوظيف المذاهب الوسطية المعتدلة لتحقيق ذلك.

➤ انقسام أصحاب المذهب الأشعري فيما بينهم بين متأخرين ومتقدمين حول بعض المسائل ما أوقعهم في بعض الخلاف الذي لا بد من دراسته والقضاء عليه ليظل المذهب الأشعري مذهب وسطي نائياً بنفسه وثوابته عن الشبهات.

➤ أهمية عقد دراسات علمية كثيرة تحاول الرد على المسائل العقائدية المختلفة من منظور يتوافق مع معطيات التطور المستمر الذي يمثل سمة دائمة للعصر الحالي.

➤ أهمية تنبه الباحثين إلى إحياء المذاهب العقائدية الأساسية للدين الإسلامي، وذلك من خلال عقد الدراسات التي تحاول قياس وتوظيف ثوابت تلك المذاهب في النهوض بالمجتمع وفق معايير الشريعة الإسلامية.

➤ انتشار عدم الوعي بأهمية المذاهب العقائدية لدى الشباب، ما يجعلهم عرضة للتطرف العقدي في مسائل العقيدة التي تشكل لب الدين الإسلامي الحنيف، الأمر الذي يترتب عليه جنوحهم نحو الأخذ بأراء تنافي تحقيق مقاصد الشرع الشريف.

➤ أهمية استنباط مسائل العقيدة، ودراستها انطلاقاً من فكر المذاهب العقائدية الوسطية.

### منهج الدراسة:

إن طبيعة موضوع الذي تحاول الدراسة الحالية الوقوف على أبعاده اقتضت من الدراسة الحالية الاعتماد على المنهج الوصفي التطبيقي، والذي يتضمن البعدين التاليين: البعد الوصفي، والذي من خلاله تحاول الدراسة الحالية الوقوف على الإطار النظري للظاهرة، والبعد التطبيقي والذي يقوم على محاولة تطبيق أبعاد الظاهرة محل الدراسة على المسائل العقائدية المعاصرة.

### أهداف الدراسة:

- ١- الوقوف على ماهية مذهب الأشاعرة.
- ٢- الوقوف على ماهية السلم المجتمعي.
- ٣- التعرف على الآليات التي يمكن من خلالها تحقيق السلم المجتمعي؟
- ٤- التعرف على ماهية المسائل العقدية التي من خلالها يحقق مذهب الأشاعرة السلم في المجتمع.

### الدراسات السابقة:

#### الدراسة الأولى:

دراسة بعنوان: أوجه الاتفاق والاختلاف بين الأشاعرة والماتريديّة في ضوء الخلاف الفقهي بينهما مع تحقيق مخطوطة شرح منظومة السبكي في الخلاقيات بين الأشاعرة والماتريديّة، للباحث: إبراهيم محمد مرزوق، وذلك في عام: ١٩٩٤م، رسالة دكتوراة<sup>(١)</sup>

#### الدراسة الثانية:

دراسة بعنوان: موقف الأشاعرة من الفكر الفلسفي حتى نهاية القرن الثامن الهجري، للباحث: الوليد مسلم أحمد حسنين، وذلك في عام: ٢٠١٣م، رسالة دكتوراة<sup>(٢)</sup>

#### الدراسة الثالثة:

دراسة بعنوان: تطور المذهب الأشعري الكلامي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين، للباحثة: عزة بكر علي، وذلك في عام: ٢٠١٤م، رسالة ماجستير<sup>(٣)</sup>

#### الدراسة الرابعة:

دراسة بعنوان: البناء المنهجي للمذهب الأشعري حتى نهاية القرن الخامس الهجري، للباحث: خالد امجد محمد، وذلك في عام: ٢٠١٨م، رسالة دكتوراة<sup>(٤)</sup>

(١) إبراهيم محمد مرزوق، أوجه الاتفاق والاختلاف بين الأشاعرة والماتريديّة في ضوء الخلاف الفقهي بينهما مع تحقيق مخطوطة شرح منظومة السبكي في الخلاقيات بين الأشاعرة والماتريديّة، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، (١٩٩٤م).

(٢) الوليد مسلم أحمد حسنين، موقف الأشاعرة من الفكر الفلسفي حتى نهاية القرن الثامن الهجري، رسالة دكتوراة، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (٢٠١٣).

(٣) عزة بكر علي، تطور المذهب الأشعري الكلامي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، (٢٠١٤م).

(٤) خالد امجد محمد، البناء المنهجي للمذهب الأشعري حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراة، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (٢٠١٨م).

### الدراسة الخامسة:

دراسة بعنوان: التعايش والسلم المجتمعي في السنة النبوية، للباحث: مريم محمد علي المغربي، وذلك في عام: ٢٠١٨م، بحث علمي<sup>(١)</sup>

### الدراسة السادسة:

دراسة بعنوان: الأخلاق وأثرها في تحقيق السلم المجتمعي: دراسة في ضوء القرآن والسنة، للباحث: أسماء عبادة عبادة محمد، وذلك في عام: ٢٠٢١م، بحث علمي<sup>(٢)</sup>

### الدراسة السابعة:

دراسة بعنوان: السلم المجتمعي وآليات تحقيقه، للباحث: علي بونوة، وذلك في عام: ٢٠٢٢م، بحث علمي<sup>(٣)</sup>

### خطة البحث :

واقترضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس على النحو التالي:

**المبحث الأول:** مسألة النظر والتقليد في مذهب الأشاعرة وأثرها في تحقيق السلم في المجتمع.

**المبحث الثاني:** مسألة التكفير في مذهب الأشاعرة. وأثرها في تحقيق السلم في المجتمع.

**المبحث الثالث:** مذهب الأشاعرة في صفات الله جلّ وعلا. وأثرها في تحقيق السلم في المجتمع.

### المقدمة:

إن المذهب الأشعري من أهم المذاهب التي سارت على نهج أهل السنة والجماعة، فلا نجد فارق كبير بين منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في العديد من القضايا، إلا أن هناك بعض القضايا التي اختلف حولها بعض المفكرين والباحثين في مذهب الأشاعرة، مثلت مسار جدال بين الباحثين الآن، حيث اختلفوا حول مذهب شخصية الإمام أبي الحسن الأشعري التي تمثل جوهر عقيد الأشاعرة، فهو من الشخصيات الإسلامية التي تميزت بنفاذ الذهن، ورجحان العقل، كما عُرف بالزهد والعفة، فكان له عدد كبير من الأتباع الذين لم يسهل

(١) مريم محمد علي المغربي، التعايش والسلم المجتمعي في السنة النبوية، حوليات كلية أصول الدين والدعوة، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنوفية، العدد (٣٧)، (٢٠١٨م).

(٢) الأخلاق وأثرها في تحقيق السلم المجتمعي: دراسة في ضوء القرآن والسنة، أسماء عبادة عبادة محمد، مجلة كلية أصول الدين والدعوة، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، أسبوط، العدد (٣٩)، الجزء (٢)، (٢٠٢١م)، ص: ١١٤٦ - ١٢١٦.

(٣) علي بونوة، السلم المجتمعي وآليات تحقيقه، مجلة أبحاث، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، المجلد (٧)، العدد (١)، (٢٠٢٢م)، ص: ٣٢٥ - ٣٣٥.

حصر عددهم في أدنى الشرق وأقصى المغرب، مع ذلك ثار جدال واسع حول مذهبه بين الباحثين.

ولكن على الرغم من ذلك فالثابت أن كثير من العلماء اجتمعوا على أن عقيدة الأشاعرة كانت هي العقيدة الصافية صفاء ماء البحيرة، القوية قوة الجبال الرواسي الشامخة، والمتينة متانة العروة الوثقى التي لا انفصام لها، وقد شاء الله أن يغير الله بأهل هذه العقيدة مسار التاريخ الإنساني، ولذلك فكان لا بد من أن ندافع عن جوهره هذه العقيدة، ونتصدى لمن يحاول تشويهها، ونبين أثر ذلك في تحقيق السلم المجتمعي. فالأئمة العظام يشكلون بأخلاقهم نموذجًا واقعيًا لتحقيق السلم المجتمعي، فهم خير القرون، والواقع المشاهد يثبت أن المجتمعات الإنسانية تعاني من القلق والاضطراب، رغم تقدمها، وهو ما يؤكد على أنه لا سلم إلا بالخلق القويم. والسلم المجتمعي هو حالة السلم والوئام داخل المجتمع نفسه وبين شرائحه وقواه، ومن طرق تحقيق تصحيح صورة المذاهب الإسلامية. والدراسة الحالية تحاول إمطة اللثام عن أهمية مذهب الأشاعرة في تحقيق السلم من خلال المباحث التالية التي حاولت الباحثة فيها اظهار أهم المسائل العقدية التي من خلالها يحقق مذهب الأشاعرة السلم في المجتمع .

### المبحث الأول:

مسألة النظر والتقليد في مذهب الأشاعرة، وأثرها في تحقيق السلم في المجتمع:

#### ❖ عنوان المسألة: النظر والتقليد في مذهب الأشاعرة:

يعد موضوع النظر والتقليد من أعقد المباحث العقدية في الفكر الإسلامي السني بوجه عام، وهي من أهم القضايا التي أفرزت العديد من المداد من قِبَل العلماء والباحثين، ومن جهة أخرى يعتبر هذا الموضوع من المواضيع التي استشكلت في المذهب الأشعري، وانتقدها عليهم المخالف، بين منتصر مشدد ومخالف منتقد ناقم متعصب؛ وذلك لأن مذهب الأشاعرة السني يعتبر مذهب معظم الأمة الإسلامية منذ عصور مرت وحتى يومنا هذا.

ومسألة النظر والتقليد تعد من أهم القضايا العقدية التي اعتنى بها علماء الكلام؛ وذلك لكونه الطريق الذي يسلكه المكلف بهدف معرفة خالقه وتحقيق إيمانه، ومعرفة ما يجب له وما يستحيل عليه، وما يجوز له، ومثل ذلك في جانب الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ومن طريقه يعلم أن هناك بعثًا وجزاء، وجنة ونارا، ومن غير من حقق تلك

الأشياء فإيمانه سيكون ثابتاً لا يتزعزع، وذلك بخلاف إيمان العبد الذي يعبد الله جلَّ وعلا مقلداً غيره متبعاً له في كل ما سبق ذكره، فهذا العبد قد تؤثر عليه أدنى شبهة"<sup>(١)</sup>.  
 "وقد كانت عادة علماء المسلمين الأجلاء، أن يقدموا بين يدي مؤلفاتهم العقدية، وبحوثهم الكلامية الحديث حول قضيتين هامتين، وهما"<sup>(٢)</sup>:

**الأول:** قضية النظر، وما يجب على المكلف من التأمل، والتفكير، والتدبر فيما يهتدي به لمعرفة المعبود الحق، عن طريق النظر في ملكوت السموات والأرض، وما يحويانه من آيات، وما بثه الله تعالى في الأنفس والأفاق، وما أنزله على رسوله "هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ" [البقرة الآية: ١٨٥]

**الثاني:** قضية التقليد، والتي تدور حول ضرورة أن يبذل المكلف أقصى جهده لتصحيح عقيدته؛ لكي يعبد الله عن حجة وبينة ليكون إيمانه ثابتاً لا يتزعزع بالشبهات أو الشهوات؛ لأن الله سبحانه وتعالى يُعَبِّد بالعلم لا بالجهل.

#### ❖ سبب الاختلاف:

"العديد من المتكلمين نسبوا دون تحرر للمسألة للإمام الأشعري القول بعدم صحة إيمان المقلد، بل إن منهم من نسب إليه القول بتكفير المقلد؛ وهذا افتراء عظيم أُلصق بالإمام من قِبَل من لا يعبا الله به. وقد نفى الإمام القشيري صحة نسبة هذا القول للإمام الأشعري فقال: "وأما من قال: إن الأشعري يقول بتكفير العوام، فهو أيضاً - كذب وزور، وقصد من يتعنّت بذلك تحريش الجهلة والذين لا تحصيل لهم عليه، كعادة من لا تحصيل له في تقوله بما لا أصل له، وهذا - أيضاً - من تلبيسات الكرامية على العوام، ومن لا تحصيل له"<sup>(٣)</sup>.

#### ❖ المناقشة:

ورد على أصحاب هذه الفرية بقوله: "فإن قالوا: فالأشعري يقول إن العوام إذا لم يعلموا علم الكلام، فهم أصحاب تقليد، فليسوا بمؤمنين. قيل: هذا أيضاً تلبيس، ونقول: إن الأشعري لا يشترط في صحة الإيمان ما قالوا من علم الكلام، بل هو وجميع أهل التحصيل من أهل القبلة يقولون: يجب على المكلف أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التي نصبها على توحيده، واستحقاق نعوت الربوبية، وليس المقصود استعمال ألفاظ المتكلمين

(١) محمد أراو، أحكام النظر والتقليد عند أهل السنة الأشاعرة، الغنية، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز دارس بن إسماعيل لتقريب المذهب والعقيدة والسلوك، ج (١١، ١٢)، (٢٠٢١م)، ص ١٠٩.

(٢) محمد أراو، (٢٠٢١م)، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٣) الإمام أبي القاسم عبد الكريم هوازن القشيري (ت ٥٤٦هـ): شكايه أهل السنة بحكاية ما نالهم من محنة، تحقيق: محمد خالد ذو الغنى، محمد يوسف إدريس، دار النور المبين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (٢٠١٦م)، (٣/٤١٨).

من الجوهر والعرض، وإنما المقصود حصول النظر والاستدلال المؤدي إلى معرفة الله - عز وجل<sup>(١)</sup>.

وممن حاولوا الدفع عن الإمام الأشعري ما ذكر من أن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري - رحمه الله تعالى - القول بتكفير العوام من مفتريات الكرامية على الأشعري، ومن تلبساتهم على العوام بسبب الاختلاف في تفسير الإيمان، فإنهم يقولون الإيمان هو الإقرار المجرد، وإلا لزم انسداد طريق التمييز بين المؤمن والكافر؛ لأنه إنما يفرق بينهما بالإقرار، وليتهم قالوا: المقر باللسان وحده مؤمن عندنا، بل قالوا: هو مؤمن حقا عند الله - تعالى -، فالمنافق مؤمن عندهم، مع أن الله - تعالى - سماهم كفاراً، ونفى عنهم الإيمان حيث قال الله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ" [البقرة الآية: ٨]، وشهد عليهم بالكذب، حيث قال الله تعالى: "وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ" [المنافقون الآية: ١]، والمكره على الكفر كافر مع أن قلبه مطمئن بالإيمان، ثم يجعلونه من أهل النار، ويجعلون المنافق من أهل الجنة، وفساده ظاهر<sup>(٢)</sup>.

#### ❖ آراء الأشاعرة فيها:

والإيمان عند الإمام الأشعري كما قال به الإمام أبو حنيفة هو التصديق بالقلب، والظن بجميع عوام المسلمين أنهم يصدقون بالقلب، وما ينطوي عليه من العقائد وتطمئن به القلوب، فالله أعلم به، وأما قوله بالاستدلال فأمره سهل؛ لأنه لم يشترط أن يستدل على الأصول على الوجه الذي يشترطه المعتزلة، وإنما اشترط نوعاً من الاستدلال هو مركز في الطباع كما مر في حديث الأعرابي، ولا يلزم منه تكفير العوام<sup>(٣)</sup>، "مع أنه نقل عن بعض أصحاب الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه - مثله.

وأشار الشهرستاني في نهاية الأقدام إلى اختلاف جواب الإمام الأشعري حول معنى التصديق الذي فسر الإيمان به، فقال: مرة هو المعرفة بوجود الصانع وصفاته، ومرة هو قول في النفس متضمن للمعرفة ثم يعبر عن ذلك باللسان فيسمى الإقرار - أيضاً - تصديقاً، وكذا العمل بالأركان بحكم دلالة الحال، كما أن الإقرار تصديق بحكم دلالة المقال، فالمعنى القائم بالنفس هو الأصل المركوز عليه، والإقرار والعمل دليلان. وقال

(١) الإمام أبي القاسم عبد الكريم هوازن القشيري (ت ٥٤٦٥هـ): (٢٠١٦م)، مرجع سابق، (٣/ ٤١٨).

(٢) أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، تبين كذب المقترري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، طبعة المكتبة الأزهرية، الطبعة الأولى، (د. ت)، ص ٢٦٥، ٢٦٦.

(٣) نور الدين محمد بن أبي الطيب الشيرازي الشافعي، شرح الشيرازي على منظومة السبكي في بيان الاختلاف بين الأشعرية والماتريدية في علم التوحيد، مخطوط بدار الكتب المصرية، (١٩١٦م علم الكلام) (١٤/ و).

بعض أصحابه الإيمان هو العلم بأن الله ورسوله صادقان في جميع ما أخبرا به، ويعزى هذا إلى أبي الحسن نفسه"<sup>(١)</sup>

**وقد فصل الشيخ تاج الدين السبكي حقيقة إيمان المقلد،** وبين مراد الشيخ الأشعري في المسألة بقوله: عزى إلى شيخنا أبي الحسن أن إيمان المقلد لا يصح، وأنكر الأستاذ أبو القاسم القشيري صحته عنه، وقد ذكر في قصيدة لنا نظمناها ضمن المسائل التي اختلف فيها أبو حنيفة والأشعري - رحمهما الله تعالى ونحن نقول على تقدير ثبوته عنه التقليد يطلق تارة بمعنى قبول قول الغير بغير حجة، ويسمى اتباع العامي لإمامة تقليدًا على هذا، وهو العرف، وتارة بمعنى الاعتقاد الجازم لا الموجب"<sup>(٢)</sup>، ثم أوضح المعنى المراد من التقليد بالمعنى الأول أنه قد يكون ظنًا، وقد يكون وهمًا كما في تقليد إمام في فرع من الفروع مع تجويز أن يكون الحق في خلافه، ولا شك أن هذا لا يكفي في الإيمان عند الأشعري، وسائر الموحدين، ولعله مقصود الأشعري بقوله: المقلد لا يصح أن يثبت عنه. وأما التقليد بالمعنى الثاني، فكان أبي - يقصد الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله - يقول: لم يقل أحد من علماء الإسلام: إنه لا يكفي في الإيمان إلا أبو هاشم من المعتزلة، وأنا أقول إن هذا لا يتصور، فإن الإنسان إذا مضى عليه زمن لا بد أن يحصل دليل عنده، وإن لم يكن على طريقة أهل الجدل، فإن فرض مصمم جازم ولا دليل عنده، فهو الذي يكفره أبو هاشم ولعله المنسوب إلى الأشعري، والصحيح أنه ليس بكافر، وأن الأشعري لم يقل بذلك"<sup>(٣)</sup>.

**وذكر السيوطي** هذه الفرية التي ألحقها بعض الخصوم بالإمام الأشعري في المسألة، وذكر عدة توجيهات محتملة لتأويل كلام الشيخ. ثم ذكر الإمام السيوطي كذلك جوابًا للرد على من شنع على الإمام الأشعري، لأنه يلزم منه تكفير العوام وهم غالب المؤمنين. فلقد رد عليه بأوجه، هي:

**أحدها:** قول القشيري بأنه مكتوب عليه.

**ثانيها:** "أن المراد بالنظر ليس على طريقة المتكلمين، وإنما على طريقة العامة، وذلك يأتي من العوام، والأعراب كما قال الأصمعي لبعض الأعراب: بم عرفت ربك: فقال: "البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على اللطيف الخبير؟"<sup>(٤)</sup>.

(١) الإمام أبي القاسم عبد الكريم هوازن القشيري (ت ٥٤٦٥هـ): شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من محنة، تحقيق: محمد خالد ذو الغنى، محمد يوسف إدريس، دار النور المبين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (٢٠١٦م)، (٤١٨/٣).

(٢) تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت ٥٧٧١هـ)، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق: أحمد ليلة، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، القاهرة، (١٩٨٩م)، (٤/٥٨٥).

(٣) تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت ٥٧٧١هـ)، (١٩٨٩م)، مرجع سابق، (٤/٥٨٥).

(٤) الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٥٩١١هـ)، شرح الكوكب الساطع، تحقيق: محمد الحفناوي، طبعة دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، (٢٠٠٨م)، (٧٧٣/٢).

وكذلك ذكر عن الشيخ ضياء الدين القرني "أنه كان ذو لحية طويلة تصل لقدميه، وكان إذا ركب تتفرق فرقتين، فكان كل من رآه من العوام يقول: سبحان الخالق، فيقول: أشهد بأن العوام مؤمنون بالنظر؛ لأنهم يستدلون بالصنعة على الصانع"<sup>(١)</sup>.

ولقد أيد الشهرستاني ذلك، "حيث ذكر أن القدر الذي يصير به المؤمن مؤمناً هو التكليف العام بأن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نظير له في جميع معاني الألوهية، ولا قسيم له في أفعاله، وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا أتى بذلك ولم يذكر شيئاً مما جاء به ونزل عليه ووفاه الموت على ذلك كان مؤمناً حقاً عند الخلق وعند الله - تعالى -، وإن طرأ عليه ما يضاد ذلك والعياذ بالله تعالى حكم عليه بالكفر، وإن اعتقد مذهباً نلزمه بحكم مذهبه يضاده ركن من هذه الأركان لم نحكم بكفره، بل ينسب إلى الضلالة والبدعة، ويكون حكمه في الآخرة موكولاً إلى الله تعالى".

"فهو أثبت أن القدر المعول عليه في إثبات الإيمان هو الدليل الكامل لإثبات التصديق الذي لا يعتره شك ولا ريب، فشتان بين إيمان إنسان مؤمن موحد إيمانه راسخ، وبين إنسان مؤمن متردد يعتقد بمذهب يخالف أحد أركان الإيمان، إلا أنه لا يحكم بكفره، والأصح أن ينسب إلى الضلالة والبدعة، وتلك هي روح التسامح التي يتميز بها المنهج الأشعري. كما بين الشهرستاني أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مثلما لم يرض بمجرد القول لم يكلف جميع الخلائق معرفة الله - تعالى - كما هو حق معرفته؛ لأن ذلك غير مقدور للعبد، فالعبد غير قادر على العلم بجميع معلوماته، ومراداته، ومقدوراته، وإنما كلفهم بالتوحيد مسنداً إلى دليل جملي كما جاء في التنزيل، وذلك ما ذهب إليه الأشعري، حيث ثبت أن القول مظهر والعقد مصدر، وقد يكتفى بالمصدر إذا لم يستطع الإتيان بالإقرار اللساني كالأخرس، فالإشارة في حقه تنزل منزلة العبارة في حق الناطق"<sup>(٢)</sup>.

وثالثها: أن مراد الأشعري أن من اختلج في قلبه شبهة في حدوث العالم أو النبوة، أو الحشر، أو نحو ذلك، وجب عليه أن يجتهد في إزالته بالدليل العقلي، فإن استمر على ذلك لا يصح إيمانه. قال السيوطي: والتحقيق أنه إن أريد بالتقليد الأخذ بقول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم، كما في تقليد إمام في الفروع مع تجويز أن يكون الحق في خلافه، فهذا لا يكفي في الإيمان عند أحد لا الأشعري ولا غيره"<sup>(٣)</sup>.

(١) أحمد البديوي سالم محمد سالم، موقف المتكلمين من إيمان المقلد، مجلة الدراية، العدد (١٥)، (٢٠١٥م)، ص ٣٧٥.

(٢) عبد الكريم الشهرستاني، نهاية الأقدام في علم الكلام، صححه: ألفريد جيوم، المكتبة الفلسفية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (٢٠٠٩م)، ص ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤.

(٣) الإمام جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد السلام هارون، وعبد العالم سالم مكرم، طبعة مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، (٤٠٤/٢).

ويمكن القول بأن رأي الأشعري قريب من قول إن المقلد مؤمن عاص، وإن لم يكن هذا القول بلفظه، فمعناه تحقق عند الأشعري<sup>(١)</sup>، وهذا ما بينه السعد التفتازاني بأن المشهور عن الإمام الأشعري القول بضرورة ابتناء الاعتقاد في كل مسألة من الأصول على دليل عقلي لكن لا يشترط الاقتدار على التعبير عنه وعلى مجادلة الخصوم، ودفع الشبه<sup>(٢)</sup>.

**الأثر المترتب عليه:**

**ذكر عبد القاهر البغدادي:** "أن هذا وإن لم يكن عند الأشعري مؤمناً على الإطلاق إلا أنه ليس بكافر لوجود التصديق، ولكنه عاصٍ بتركه النظر والاستدلال، فيعفو عنه الله أو يعذبه بقدر ذنبه وعاقبته الجنة، وهذا يشعر بأن مراد الأشعري أنه لا يكون مؤمناً على الكمال كما في ترك الأعمال، وإلا فهو لا يقول بالمنزلة بين المنزلتين ولا بدخول غير المؤمن الجنة، إذًا يتضح أنه لا خلاف معه على التحقيق بينما الخلاف مع المعتزلة؛ لأنهم هم من قالوا بعدم صحة إيمان المقلد"<sup>(٣)</sup>.

#### ❖ الأدلة:

**لقد استدلت الأشاعرة بأدلة نذكر منها ما يلي:**

- ١- أن التقليد لا يجوز بسبب ذمه في محكم آيات الله، حيث يقول الله تعالى حكاية عن الكفار: "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ" [الزخرف الآية: ٢٢]. وقوله تعالى: "إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ" [النجم الآية: ٢٣]، إلا أنه حث عليه في الفروع بقوله جلَّ وعلا: "فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" [النحل الآية: ٤٣].
- ٢- أن التصديق لا يوجد دون العلم والمعرفة، وذلك بناء على أن العلم ذاتي للتصديق أو شرط له، ولا علم للمقلد حتى يحصل التصديق، ولو لم يحصل لا يحصل الإيمان"<sup>(٤)</sup>.

#### ❖ الراجح:

وعليه يتبين أن الأشاعرة قالوا: "إنه لا يجوز التقليد في الأصول؛ وعلل الشيرازي ذلك بأننا مأمورون باتباع الرسول، وهو مأمور بتحصيل العلم بها لقول الله - تعالى -: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" [محمد الآية: ١٩]، ولما تكرر في محكم آيات الله من ذم للتقليد بخلاف الفروع؛ لأن المسائل الأصولية قليلة يمكن الإحاطة بها، وتكفي فيها المعرفة إجمالاً، وإنما يحتاج إلى نظر لطيف، كما نقل عن أعرابي قيل له: بم عرفت الرب؟ قال: البعرة

(١) علي عبد الفتاح المغربي، أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٩٨٥م)، ص ٣٨٧.

(٢) الإمام مسعود بن عمر عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، طبعة دار الطباعة العثمانية العامرة، (١٢٧٧هـ)، (٢/ ١٩٤).

(٣) الإمام مسعود بن عمر عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، (١٢٧٧هـ): مرجع سابق، (٢/ ١٩٤).

(٤) عبد الرحيم بن علي الشهير بشيخ زاده (ت ١٠٧٨هـ)، نظم الفوائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدي والأشعرية في العقائد، طبعة المطبعة الأدبية، مصر، الطبعة الأولى، (١٣١٧هـ)، ص ٤١.

تدل على البعير، وآثار المشي تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج  
أفلا يدلان على الصانع الخبير؟<sup>(١)</sup>

وهنا لا يشترط جودة صياغة الأدلة للمستدل، ولكن يكفي أن يعبر عن ذلك بأي صيغة  
شاء. وذكر عبد القاهر البغدادي تفرقة بين من اعتقد أركان الدين تقليدًا من غير معرفة  
بأدلتها، واعتقد مع ذلك جواز ورود شبه عليها، وقال: لا آمن أن يرد عليها من الشبه ما  
يفسدها، فهذا عنده غير مؤمن بالله ولا مطيع له وإنما كافر، وذكر أن هذا قول الأصحاب،  
وإن اعتقد الحق ولم يعرف دليله واعتقد مع ذلك أنه ليس في الشبه ما يفسد اعتقاده، فهو  
الذي اختلف فيه الأصحاب الأشاعرة، فمنهم من قال هو مؤمن وحكم الإسلام له لازم،  
وهو مطيع لله تعالى باعتقاده وسائر طاعاته، وإن كان عاصيًا بتركه النظر والاستدلال  
المؤدي لمعرفة أدلة قواعد الدين، وإن مات على ذلك نرجو له الشفاعة وغفران معصيته  
برحمة ربه، وإن عوقب على معصيته لم يكن عذابه مؤبدًا، وصارت عاقبته الجنة بحمد  
الله<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر البغدادي في عرض رأي الإمام الأشعري أن معتقد الحق قد خرج باعتقاده عن  
الكفر؛ لأن الكفر واعتقاد الحق في التوحيد والنبوات ضدان لا يجتمعان، غير أنه لا  
يستحق اسم المؤمن إلا إذا عرف الحق في حدوث العالم وتوحيد صانعه، وفي صحة  
النبوة ببعض أدلته سواء أحسن صاحبها العبارة عن الدلالة أو لم يحسنها، وهذا اختيار  
الأشعري.

والحق أن المقلد في الإيمان عند الأشعري ليس مشرکًا ولا كافرًا، وإن لم يسمه على  
الإطلاق مؤمنًا، وقياس أصل كلامه يقتضي أن يحكم له بجواز المغفرة له؛ لأنه غير  
مشرک ولا كافر. والأشعري إذا قال بأن المقلد ليس بمؤمن ولا كافر فهو لا يقول بالمنزلة  
بين المنزلتين<sup>(٣)</sup>.

وعليه فالراجح أن التصديق من غير علم محال، إلا أنه اكتفى فيه بحصول العلم بوجه  
ما، وإن لم يوجد كماله بدليل قبول النبي - عليه الصلاة والسلام - إيمان الأعراب،  
فالمصدق من حيث إنه مصدق قد حصل له العلم بوجه ما، وإنكار هذا إنكار للضروري

(١) نور الدين محمد بن أبي الطيب الشيرازي الشافعي، شرح الشيرازي على منظومة السبكي في بيان  
الاختلاف بين الأشعرية والماتريدية في علم التوحيد، (١٩١٦ علم الكلام)، (١٣/ و)، نقل النص  
كاملاً صاحب الروضة البهية عن الشارح محمد بن أبي الطيب الشيرازي، حسن بن عبد المحسن،  
الشهير بأبي عذبة، الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، تحقيق: أحمد ليلة، رسالة  
ماجستير، كلية أصول الدين، القاهرة، (١٩٨٩م)، ص ٢٩٦.

(٢) الشيخ عبد القاهر البغدادي، أصول الدين للبغدادي، تحقيق: أحمد شمس الدين، طبعة دار الكتب  
العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (٢٠٠٢م)، ص ٢٨٠، ٢٨١.

(٣) أحمد البديوي سالم محمد سالم، (٢٠١٥م): مرجع سابق، ص ٣٧٩.

❖ وهنا ترى الباحثة:

أن كل ما سبق يحقق السلم في المجتمع من حيث إنه إذا تم كشف حقيقة الكذبات التي افتراها أهل الفرية على أصحاب المذاهب السنية الوسطية عامة ومذهب الأشاعرة خاصة، فإن ذلك يصحح المفاهيم الثابتة والراسخة حول أصول الدين والعقيدة، فمسائل العقيدة تمس جوهر الدين الحنيف، ولذلك فإي فرية على أصحاب هذه المذاهب يمثل هجمة على جوهر الدين من جهة، وعلى أساس المجتمع من الجهة الأخرى، فالثابت أن عقيدة الأفراد هي التي تُشكّل مكنون أفكار المجتمع وتوجهاته، وعليه فأي حكم عقدي خاطئ سيترتب عليه تشويه أفكار أفراد المجتمع ككل وبالتبعية زعزعة ثوابت المجتمع وتدميره، وحول المسألة التي نطرحها اليوم فإن لم يتم توضيحها بصورة جلية لعوام الناس فإن ذلك ربما ترتب عليه نشر الفارقة في مفاصل المجتمع، فقضيتنا الحالية جوهرها يدور حول مسألة تكفير المقلد، وحكم الكافر في ثوابت الدين ربما يستغله بعض المنتسبين قول لا فعلاً للدين؛ من أجل توجيه غير المتخصصين من العوام لنشر الفارقة وتوجيههم باسم الدين لارتكاب أفعال منكرة نحو القتل، وعليه فإن تصحيح المفاهيم حول مبادئ مذهب خالد ووسطي سني كمذهب الأشاعرة يُرسخ دعائم السلم في المجتمع.

المبحث الثاني: مسألة التكفير في مذهب الأشاعرة:

❖ عنوان المسألة: التكفير في مذهب الأشاعرة:

إن أمة الإسلام ستظل بعيدة عن الشؤم سليمة من البلاء طالما ظلت ملتزمة السبيل الذي خطه رسول الله، فلن تضيع هذه أمة إلا حين تنبذ سنته ﷺ، وتعرض عن هديه، فحينئذ تقع الفتنة، ويحصل العذاب الأليم، فقد قال الله تعالى: "فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" [النور الآية: ٦٣]. وفي عصرنا الحالي باتت الفتنة التي أصابت الأمة وتصيبها صنوف وألوان لا حصر لها، ومن أعظم هذه الفتنة وقعاً وفتكاً بالأمة هي فتنة التكفير، والتي أحدثت في المجتمع المسلم الشر وأورثته البلاء.

وهي الفتنة التي وقع فيها فرق وأشخاص وصلت بهم إلى أن ضلوا عن الطريق، فجهلوا حكم الله وحكم رسوله، فترتب على ذلك أن استحلوا الدماء والأموال، فعاثوا في الأرض فساداً. والمتأمل في حال السلف الصالح - رضي الله عنهم - يجدهم قد تنبهوا لخطر هذه المسألة فتورعوا عنها أشد الورع؛ لأنهم كانوا يفقهون أحاديث النبي المحذرة من الخوض فيها، فقد ورد في الحديث أبي ذر

الغفاري أنه سمع النبي ﷺ يقول: "لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك"<sup>(١)</sup>.

وفي حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: "أيا امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه"<sup>(٢)</sup>.

#### ❖ المناقشة:

بداية نتطرق إلى الموقف العام للأشاعرة من قضية التكفير، فالمتتبع لتراث الأشاعرة يتيقن أنهم كانوا يعيدون كل البعد عن تكفير المسلمين، وأنهم ما تركوا موقفاً يستطيعوا من خلاله مواجهة هذه الظاهرة أو يحذروا الناس منها إلا وقفوه، لا فرق في موقفهم هذا بين الإمام أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) وبين من جاءوا بعده من الأشاعرة.

فلقد كان موقفهم ثابتاً متمثلاً في انكار ورفض تكفير من شهد بـ "أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله"، ما دام قائماً بحقوق هذه الشهادة التي تمثل شعار الإسلام، كما أنها تعصم الدماء، والأموال، والحقوق"<sup>(٣)</sup>.

ولكن على الرغم من إجماع أكثر العلماء على أن مذهب الأشاعرة كان مذهباً وسطياً في منهجه سار على أكثر ما جاء به أهل السنة والجماعة إلا أن حديثاً قد تعددت الأقوال حول رأي وموقف الأشاعرة المتأخرين من مسألة التكفير، فنجد أن الآراء تباينت بين الباحثين حول آراء الأشاعرة في مسألة التكفير.

#### ❖ الآراء المتعددة في المسألة وأدلتها:

١- الرأي القائل بأن الأشاعرة لم يكفروا أي أحد من أهل القبلة "الرأي العام للأشاعرة في مسألة التكفير":

وهذا الرأي استند على سرد آراء أئمة الأشاعرة على اختلافهم، والتي تؤكد على أن الأشاعرة لم يكفروا أحد من أهل القبلة، وذلك على النحو التالي:  
نبدأ بالإمام أبي الحسن الأشعري صاحب هذا المذهب ومؤسسه الذي خلد في بيان أن الإسلام يتضمن كل المنتسبين إليه، كما أشار إلى أنه لا مجال لتكفير من يشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وذلك من خلال ما يلي:

(١) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب بدء الوحي، باب ما ينهى من السباب واللعن، (١٥/٨)، (٦٠٤٥).

(٢) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٧٩/١)، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، (٦٠).

(٣) محمد عمارة، (٢٠٠٦م): فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية، والصوفية، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ص ٢٩.

فقد وقف الإمام أبي الحسن الأشعري موقفين كانا شاهدي صدق على تصدي الأشاعرة لظاهرة التكفير الغريبة على المجتمع الإسلامي منذ اللحظات الأولى لظهور المذهب، ففي الموسوعة العلمية التي ألفها في الفرق والمسمات (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين). فقد أشار بالتلميح تارة والتصريح تارة أخرى إلى مسألة أن المسلم متى نطق بلفظ التوحيد واتجه نحو قلة الإسلام، فلا يجوز لاختلافه في مسائل العقيدة أن يتم إخراجهم من الإسلام:

و- **الموقف الأول:** فقد جمع في مؤلفه مقالات فرق الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، وغيرهم من الفرق، وبين هذه الفرق، وبين أهل السنة من الأشاعرة، ومن غيرهم من الاختلاف في الأصول والفروع ما بين السماء والأرض، ومع ذلك، فقد عنوان كتابه بوصفهم بأنهم مسلمون مصلون<sup>(١)</sup>.

ة- **الموقف الثاني:** وهو الموقف الذي جعله أبو الحسن بمثابة تأكيد بصورة صريحة للحقيقة التي يؤمن بها، والتي أشار إليها في عنوانه، والمتمثلة في: أن المسلم الملتزم بشعائر الإسلام لا يجوز تكفيره أو إخراجهم من طائفة المسلمين بسبب اجتهاده في مسائل العقيدة، فقد قال في مقدمة مؤلفه: (المقالات): "اختلف الناس بعد نبيهم - في أشياء كثيرة، ضلل بعضهم بعضاً، وبرئ بعضهم من بعض، فصاروا فرقاً متباينين، وأحزاباً مشتتين، إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم"<sup>(٢)</sup>.

"فالمطالع لهذا النص يدرك كيف استطاع الإمام أبو الحسن (ت ٣٢٤هـ) بذلك العنوان وهذا النص أن يغلق الطريق ويقفل الباب باكراً جداً أمام دواعي التعصب، والهوى، والإقصاء التي يؤول الأمر معها إلى التكفير"<sup>(٣)</sup>، "فهذه العبارة حقها أن يتم كتابتها بماء الذهب، وقد نبه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الإمام أحمد الطيب إلى ما يبرر هذا الحق بقوله: "ما أحوج المسلمين لها اليوم، بل لا مفر لهم منها؛ لاستعادة وحدتهم وقوتهم"<sup>(٤)</sup>.

(١) الإمام الأكبر أ. د. أحمد الطيب، (٢٠١٦م): أهل السنة والجماعة، طبعة دار القدس العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ص ٤٩، ٥٠.

(٢) أبو الحسن الأشعري، (١٩٩٠م): مقالات الإسلاميين، تحقيق: محمد محيي الدين، طبعة المكتبة العصرية، ٣٤/١.

(٣) وسام رزوق، (٢٠١٨م): الخطاب الأشعري: موقفه من المخالف ودعوى تحوله إلى منطق التضييل والتكفير، الناشر مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات، مجلة الإبانة، العدد (٥)، ص ٤٣.

(٤) كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور: أحمد الطيب، (٢٠١٦م): في مؤتمر الشيشان الذي عقد تحت عنوان: "من هم أهل السنة والجماعة؟" في مدينة غروزني في الفترة من ٢٥ إلى ٢٧ أغسطس عام ٢٠١٦م، ص ١١.

"ومن الأدلة على أن موقف الإمام من قضية التكفير ليس موقفًا عابرًا أو حالة شكلها ظرف طارئ، وإنما هو مبدأ عض الإمام عليه بالنواجذ طيلة حياته، كما أكد عليه حين مماته ما ذكره ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) عن أبي علي أحمد بن زاهر السرخسي أنه قال: "لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد دعاني فأتيته، فقال: أشهد على أنني لا أكفر أحدًا من أهل هذه القبلة؛ لأن الجميع يشيرون لمعبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات"<sup>(١)</sup>.

### فالإمام الأشعري بهذه المواقف الثلاثة قد قام بما يلي:

مما سبق من المواقف سابقة الذكر للإمام أبي الحسن الأشعري يتضح لنا أنه: **أولاً:** قدم لنا الإمام أبو الحسن خطابًا وسطيًا متسامحًا تجاه الآخر، لا يخرج به أحدًا من أهل القبلة من شريعة الإسلام، ومن أدلة تسامحه أنه يُرْجَع الاختلافات العميقة بين الفرق الكلامية إلى اختلاف في العبارة"<sup>(٢)</sup>.

**ثانيًا:** كما أنه أعلن صراحة عن التزامه بقاعدة نفي تكفير المسلم المجتهد في البحث حول إثبات قضايا العقيدة؛ لأن من يبحث بحث وفق منهجه؛ من أجل إثبات معبود واحد هو المولى جَلَّ وَعَلَا، وأن الخلافات الكلامية، في جوهرها وأبعادها ترجع إلى العبارات، والألفاظ، والاعتقاد بالثوابت العقدية المشتملة في النصوص التوقيفية، مما لا ينازع فيه مسلم"<sup>(٣)</sup>.

**ثالثًا:** كما برهن الإمام الأشعري على إدراكه المبكر لما قد تأول إليه الأمور من جراء النزعة التكفيرية من معاناة للأمة وتفريق لوحدها، بما تشتمله من استحلال للدماء، والأموال، والحقوق"<sup>(٤)</sup>.

كما نجد أن باقي الأشاعرة انتهجوا منهج إمامهم فلم يحد أئمة الأشاعرة - فيمن أعلم - من القدماء عن هذا النهج الذي انتجه إمامهم، إلى أن بات نبذ التكفير وتحذير الناس منه من أهم الدعائم التي يستند إليها المذهب الأشعري، بل ويتميز بها عن غيره في الأغلب من المذاهب، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

(١) ابن عساكر، (د. ت): تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: الشيخ الكوثري، المكتبة الأزهرية، الطبعة الأولى، ص ١١٩.

(٢) وسام رزق، (٢٠١٨م): مرجع سابق، ص ٤٠.

(٣) جمال البيخني، (٢٠١٨م): التأسيس العقلي لجذلية الإيمان والفكر في الفكر الأشعري، مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات، مجلة الإبانة، العدد (٥)، ص ٢٥.

(٤) كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور: أحمد الطيب، (٢٠١٦م): مرجع سابق، ص

قال ابن فورك (ت ٥٤٠٦هـ) كما حكى عنه الشيخ زروق (ت ٥٨٩٩هـ): "الغلط في إدخال ألف كافر بشبهة إسلام خير من الغلط بإخراج مسلم واحد بشبهة كفر"<sup>(١)</sup>. وقبل نهاية القرن الخامس الهجرية ظهر من أعلام الأشاعرة من أقرر بأن التكفير بعيد المدرك متوعد المسالك، وهما وصفان من الدقة في التحذير من التكفير، بحيث لا يصدران إلا ممن جمعت له إمامة الحرمين الإمام الجويني.

فقد قال الجويني (ت ٥٤٧٨هـ): "فإن قيل: فصلوا ما يقتضي التكفير، وما يُوجب التبديع والتضليل، قلنا: هذا طمَع في غير مَطْمَع؛ فإنَّ هَذَا بَعِيدُ الْمَدْرِكِ مُتَوَعَّرُ الْمَسْلَكِ، يُسْتَمَدُّ مِنْ تِيَارِ بَحَارِ عُلُومِ التَّوْحِيدِ، وَمَنْ لَمْ يُحِطْ بِنَهَايَاتِ الْحَقَائِقِ، لَمْ يَتَحَصَّلْ فِي التَّكْفِيرِ عَلَى وَثَائِقٍ"<sup>(٢)</sup>.

"ففي هذا الجواب أظهر الجويني القصور عن إجابة السائل تهيئاً لا جهلاً، بالإضافة لتلميحه لأن السائل لا يستوعب الجواب، وكأن لسان حاله يقول: لو خاض في التكفير كل أحد لا تسع الخرق على الراقع"<sup>(٣)</sup>.

"كما سار الغزالي (ت ٥٥٠٥هـ) على خطى الجويني، حيث أدرك مبكراً - كشيخ مذهبه - ما تؤول إليه الأمور مع التكفير من استباحة الأنفس والأموال؛ لذلك صرح صراحة في كثير من المواضع بأن الفطن من احترز عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فقد كانت وصيته لجموع المسلمين أن يكفوا ألسنتهم عن أهل القبلة ما استطاعوا. فقد قال في "الاقتصاد في الاعتقاد": والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً. فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصريحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم"<sup>(٤)</sup>.

"ولأن التكفير من أوسع أبواب الفتن إذ لم يكن أوسعها لم يسأم الغزالي من تكرار نبذه والتحذير منه، تارة بصوفه بأن فيه خطراً، وتارة بقوله بأنه من سمات الجهال، فقد قال: "أما الوصية: أن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها، والمناقضة تجوزهم

(١) ابن أبي زيد القيرواني، (د. ت.): شرح الشيخ زروق على متن الرسالة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٨٠ / ١، وسام رزق، (٢٠١٨م): مرجع سابق، ص ٤٠، بشير القلعي، (٢٠٠٨م): التكفير: مفهومه، خطورته، موقف الإسلام منه، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد (٩)، ص ٧٥٨.

(٢) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (٤١٩ - ٥٤٧٨هـ)، (٥١٤٠١): الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، الطبعة الثانية، ص ١٨٦.

(٣) وسام رزق، (٢٠١٨م): مرجع سابق، ص ٤١.

(٤) محمد أبي حامد الغزالي الطوسي، (١٩٦٦م): الاقتصاد في الاعتقاد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة، ص ١٣٥.

الكذب على رسول الله بعذر أو بغير عذر، فإن التكفير فيه خطر، والسكوت لا خطر فيه"<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر قال: "التكفير حكم شرعي يرجع إلى إباحة المال، وسفك الدم، والحكم بالخلود في النار ... ومهما حصل تردد، فالوقوف فيه عن التكفير أولى، والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل"<sup>(٢)</sup>.

"كما نجد منتسب آخر لمدرسة الأشاعرة، تلك المدرسة السنية يوصي بضرورة البعد عن تكفير المسلمين، ويشير إلى أن نبذ التكفير، ومواجهته، وتحذير الناس منه ليس موقفاً شخصياً يتبناه فرد ويرفضه آخر، إنما هو اتجاه عام راسخ يسير عليه كل من انتهج منهج أعلام هذه المدرسة الوسطية. فقد ذكر العلامة الدواني (ت ٩١٨ هـ) أن أبا القاسم الأنصاري (ت ٥١٢ هـ) - الذي يعد من أنجب تلامذة الإمام الجويني- سئل عن تكفير المعتزلة بسبب قول أكثرهم: "إن أفعال العباد واقعة بقدرة العبد وحدها، وعن تكفير أهل الجبر لقولهم: إن العبد مجبر في كل أفعاله ولا تأثير لقدرته في شيء منها"<sup>(٣)</sup>.

"فقال عن المعتزلة: "لا يجوز تكفيرهم؛ لأنهم نزهوه تعالى عما يشبه الظلم والقبح، وما لا يليق بالحكمة، وقال عن أهل الجبر: لا يجوز تكفيرهم؛ لأنهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة، وتأثير، وإيجاد"<sup>(٤)</sup>.

هذا تسامح وحسن الظن بالمخالفين نادر أن يجد الأشاعرة مثله أو بعضه عند خصومهم. فالعلم الأشعري لم يترفع عن تكفير المخالفين له فحسب، وإنما التمس لأقوالهم - والتي ربما يراها البعض موجبة للتكفير - ما يؤكد نجاتهم من هذه التهمة، بل وحتى نجده يوجب حسن الظن بهم، فهو لا يرفض التكفير فقط، وإنما يقدم درساً لمن لا غاية لهم ولا مطلب إلا الإقصاء المسبوق بالعمد والترصد لزلالات الخصوم.

"ولم تمض مائة عام على دعوات الإمام الغزالي التحذيرية حتى وجدنا علمًا آخر من أعلام الأشاعرة النابغين يوحد الباب في وجه التكفير بين علماء الإسلام

(١) محمد أبي حامد الغزالي الطوسي، (د. ت): فيصل التفرقة (ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي)، تحقيق: إبراهيم أمين، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر، ص ٢٦٥، بشير القلعي، (٢٠٠٨ م): مرجع سابق، ص ٧٥٨.

(٢) أبو حامد الغزالي، (د. ت): فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

(٣) ربيع حسنين محمد حسنين، (٢٠٢٢ م): جهود الأشاعرة في مواجهة ظاهرة التكفير وتحجيف روافدها، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، أسيوط، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، سوهاج، العدد (٢٨)، ص ١٩٢.

(٤) الإيجي، (١٩٥٨ م): شرح الدواني على العقائد العنصرية للإيجي، (ضمن كتب: محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين)، تأليف: سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ٦٥١ / ٢.

محتجا على ذلك بأن المسائل المختلف فيها بين علماء الإسلام من دقيق الكلام ليست مما يتوقف عليه صحة الدين، وهو الأمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)<sup>(١)</sup>. فالإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في مؤلفه: (نهاية العقول) عقد مسألة بعنوان: "في أن مخالف الحق من أهل الصلاة هل يُكْفَرُ أم لا؟". وعقب عرضه لأراء العلماء المختلفة قال: "والذي نختاره: ألا نكفر أحداً من أهل القبلة. والدليل عليه أن المسائل التي اختلف أهل القبلة فيها، مثل أن الله تعالى عالم بالعلم أو لذاته، وأنه تعالى هل هو موجد لأفعال العباد أم لا؟ ... لا يخلو إما أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها أو لا تتوقف والأول باطل؛ إذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان من الواجب على النبي - ﷺ - أن يطالبهم بهذه المسائل ... فلما لم يطالبهم بهذه الأشياء... علمنا أنه لا تتوقف صحة الإسلام على معرفة هذه الأصول، وإذا كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحاً في حقيقة الإسلام"<sup>(٢)</sup>

"ومما لا يمكن إغفاله، بل يجب التنبيه عليه أن الرازي في قوله السابق قد قدم نقلة نوعية في مواجهة ظاهرة التكفير، وخرج عن الاتجاه السائد عند أسلافه في هذه المواجهة، فأسلافه الذين كانوا قبله اعتمدوا في مواجهتها تارة على مخاطبة الوجدان من خلال التقريب بين الفرق الإسلامية، وإرجاع الاختلاف بينها إلى اختلاف العبارة فقط، وذلك كما فعل الشيخ أبو الحسن، وعن طريق التخويف من الانزلاق في هاوية التكفير ببيان أنه وصف يؤول إلى استحلال الأنفس والأموال، وأن الخطأ فيه ليس بالأمر الهين تارة أخرى. أما الرازي فقد قدم نصاً يخاطب العقل، ويعتمد على التحليل الدقيق للمسائل التي وقع فيها التكفير بين جماعة المسلمين، وكأنه يقول لمن يخوضون في تكفير مخالفيهم من جموع المسلمين في تلك المسائل: استقيموا فهذه المسائل ليست مما يتوقف عليها صحة دين الإنسان المسلم، وما دام الأمر هكذا فإنه لا مجال أبداً لتكفير المخالف فيها"<sup>(٣)</sup>.

كما زواج الرازي في موطن آخر بين النص والعقل في دفع التكفير عن المسلمين من أهل القبلة بقوله: "المختار عندنا أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بدليل منفصل، ويدل عليه النص والمعقول. أما النص: فقوله: "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ

(١) ربيع حسانين محمد حسانين، (٢٠٢٢م): مرجع سابق، ص ١٩٢.

(٢) الفخر الدين الرازي، (٢٠١٥م): نهاية العقول، تحقيق: سعيد فودة، دار الذخائر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٨٠، ٢٨١.

(٣) ربيع حسانين محمد حسانين، (٢٠٢٢م): مرجع سابق، ص ١٩٣.

رَسُولِهِ، فَلَا تَخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ"<sup>(١)</sup>، وأما المعقول: "فهو أن العلم بهذه المسائل لو كان شرطاً لصحة الإيمان ..."<sup>(٢)</sup>.

على الرغم من إجماع أكثر العلماء على أن مذهب الأشاعرة كان مذهباً وسطياً في منهجه سار على أكثر ما جاء به أهل السنة والجماعة إلا أن حديثاً قد تعددت الأقوال حول رأي وموقف الأشاعرة المتأخرين من مسألة التكفير، فنجد أن الآراء تباينت بين الباحثين حول آراء الأشاعرة في مسألة التكفير، هذا التباين جاء على النحو الآتي:

## ٢- الرأي القائل بأن متأخري الأشاعرة قد تباينت آرائهم في مسألة إطلاق حكم التكفير:

أن المتأخرين من الأشاعرة لم يكتفوا بالجهود التي بذلها المتقدمون في مواجهة التكفير، ونبذه، وتحذير الناس منه، وإنما أكملوا عليها فقد كان لهم حظ وافر في هذه المواجهة. فنجد منهم القاضي عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ) يقدم نصاً يميظ اللثام فيه عن موقفه من التكفير، ويضع النقاط على الحروف حول ما يتعلق بموجبات التكفير. فقد قال: "ولا نكفر أحداً من أهل القبلة إلا بما فيه نفي الصانع القادر المختار العليم، أو شرك، أو إنكار النبوة، أو إنكار ما علم مجيء محمد - ﷺ - به ضرورة، أو إنكار مجمع عليه قطعاً، واستحلال المحرمات، وأما غير ذلك فالقائل به مبتدع، وليس بكافر"<sup>(٣)</sup>.

ولا شك في أن هذا النص الذي قدمه الإيجي (ت ٧٥٦هـ)، وأعانه عليه الدواني (ت ٩١٨هـ) يقوم بتضييق دائرة التكفير بين جموع المسلمين إلى أدنى حد ممكن؛ لأن المتتبع للمسائل التي خاض المسلمون في التكفير نتيجة الخلاف حولها، والتي ذكر الرازي في نصه سابق الذكر أمثلة لها - لا يكاد يجد شيئاً منها مدرج تحت موجب من موجبات التكفير التي ذكرها الإيجي للتكفير، فهو في هذا النص ليس فقط يعلن عن موقفه من التكفير، وإنما يقدم ما يقلل من فرص الاتهام به ويجعلها تصل إلى أدنى مستوى"<sup>(٤)</sup>.

"وهذا هو المذهب الذي سار عليه أهل السنة والجماعة، فتورعوا عن التكفير إلا من ثبت تكفيره بكتاب أو سنة، فما دل الكتاب أو السنة على كفره فهو كفر، وما دل الكتاب والسنة على أنه ليس بكفر فليس بكفر، وعليه فإنه ليس لأحد، ولا له

(١) الإمام البخاري، (٢٠٠٦م): صحيح الإمام البخاري: كتاب الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة، حديث رقم ٣٩١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ص ١٠٨.

(٢) فخر الدين الرازي، (١٩٩٩م): معالم أصول الدين، تحقيق: أحمد حجازي، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، ص ١١٧.

(٣) شرح الدواني على العقائد العضدية، ٢/ ٦٥١: ٦٥٣.

(٤) ربيع حسانين محمد حسانين، (٢٠٢٢م): مرجع سابق، ص ١٩٣.

أن يكفر أحدًا إلى أن يقوم الدليل من الكتاب والسنة على كفره، ومع وسطية أهل السنة والجماعة في التكفير والتزامهم الدليل في ذلك، إلا أننا نجد من يتهمهم - زورًا - بـ "التكفيريين"، وأنهم خاضوا في مسألة التكفير بغير علم، وكفروا من لم يدل الدليل على كفره، وممن رموا أهل السنة بهذا بعض متأخري الأشاعرة"<sup>(١)</sup>.

فهناك رأي آخر يرى أن المتتبع لمنهج بعض متأخري الأشاعرة يجد أنهم تخبطوا في هذا الباب، وضلوا فيه عن المنهج القويم، فيجدهم أحيانًا يكفرون من اعتقد ما يجب من الشرع اعتقاده والإيمان به، وأحيانًا يكفرون من كفرهم لا لشيء إلا لتكفيره لهم، وأحيانًا أخرى يكفرون من لا يستحق حتى التبديع أو التفسيق، ثم إنه يجدهم يرمون المخالف لهم - سواء من أهل السنة وغيرهم - بالتكفير، والتفسيق، ويصفونهم بأوصاف التبديع والتضليل، وهذا الرأي ساق الأدلة الآتية ليبرهن على صحة قوله.

قال السبكي في الدررة المضئية: «أما بعد، فإنه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاهد، بعد أن كان مستنيرًا بتبعية الكتاب والسنة، مظهرًا أنه داع إلى الحق هاد إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع، وشذَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع... فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افتقرت عليها الأمة، ولا وقفت به مع أمة من الأمم همة"<sup>(٢)</sup>.

فهم من يخالف الدليل الصحيح الصريح، ثم يكفرون من يعتقد خلاف ما قالوا به، وذلك نحو ما ذكره القشيري في تكفيره لمن أثبت الجهة، حيث ذكر: "سمعت الإمام أبا بكر ابن فورك - رحمه الله - يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: كنت أعتقد شيئًا من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي فكتبت إلى أصحابنا بمكة: إني أسلمتُ الآن إسلامًا جديدًا"<sup>(٣)</sup>.

وهذا المبحث بمثابة عرض يسير لمسألة التكفير عند الأشاعرة عامة ومتأخريهم خاصة، وذلك لأن المطلع على هذه المسألة عند الأشاعرة المتأخرين خاصة يلحظ جراتهم في مسألة إطلاق الكفر والبدعة على المخالف لهم، متأثرين في ذلك بعلوم أفكار الفلاسفة وعلماء الكلام؛ وهو الأمر الذي أوقعهم في مشكلة

(١) علي بن أحمد الشهري، التكفير عند متأخري الأشاعرة، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، العدد (٩٦)، (٢٠٢٤م)، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) علي بن عبد الكافي السبكي، الدررة المضئية في الرد على ابن تيمية، مطبعة الترقى، (١٣٤٧هـ)، (ص ١٥١-١٥٢).

(٣) عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، دار المعارف - القاهرة، ص ٢٥.

التكفير انطلاقاً من هذه الأصول، فقد فارقوا منهج شيخهم أبي الحسن الأشعري ومن كان حوله من المتقدمين، وبالتبعية فقد خالفوا منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

إن المطالع لمؤلفات بعض متأخري الأشاعرة حول موضوع الكفر يجد أن كثيراً منها قد تميز بمنهجية سار عليها القوم خالفوا فيها ما كان عليه متقدميهم، فقد رسمت معالم ظاهرة حول ما رآه أصحابها حول أحكام التكفير، وعلى من يطلق هذا الحكم ومتى. وعليه فيمكن القول بأن منهج متأخري الأشاعرة في التكفير يمكن فهمه من خلال ما يلي:

#### أولاً: رميهم مخالفينهم بالكفر:

فهذه الخصيصة الأولى من معالم منهج بعض متأخري الأشاعرة، تتضح عند حديثهم عن مسائل الخلاف بينهم وبين المخالف، وهي تتمثل في الأوصاف التي نعتوا بها المخالفين لهم. وهي الصفات التي تباينت بين إطلاق الكفر، أو التبديع، أو التفسيق، وبين اللمز بألقاب السوء والتنقيص، وذلك وفق ما يرونه من مفارقة بينهم وبين المخالف لهم حول هذه المسائل، وأخطر الصفات التي أطلقها متأخرو الأشاعرة على المخالفين لهم هي وصفهم بالكفر، بل وأشد من ذلك غلوهم في تكفير مخالفينهم، إلى أن وصل بهم الأمر إلى أن عدوا كل من خالفهم في المنهج ورأى غير رأيهم أنه كافر، ولو نسب إليهم قولاً غير قولهم فيكون قد كفرهم، ومن كفرهم فهو كافر<sup>(١)</sup>.

ومثال ذلك أبو إسحاق الشيرازي - الذي يعد من كبار أئمة الأشاعرة في وقته - قد بين أن من سلك سبيلاً في الاعتقاد غير السبيل الذي خطه إمام الأشاعرة أبو الحسن الأشعري فهو كافر فقد قال: «فمن اعتقد غير ما أشرنا إليه من اعتقاد أهل الحق المنتسبين إلى الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه - فهو كافر. ومن نسب إليهم غير ذلك فقد كفرهم، فيكون كافرًا بتكفيره لهم لما روي عن النبي ﷺ - أنه قال: "ما كفر رجل رجلاً إلا بآء به أحدهما ..."<sup>(٢)</sup>

أمَّا عبد القاهر البغدادي فقد قال في تكفيره للمخالفين له من المعتزلة: "اعلم أن تكفير كل زعيم من زعماء المعتزلة واجب ... وأنواع كفرهم لا يحصيها إلا الله"<sup>(٣)</sup>

(١) علي بن أحمد الشهري، التكفير عند متأخري الأشاعرة، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٢) إبراهيم بن علي الشيرازي: شرح اللمع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٨٨م)، (١/١١١).

(٣) عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أصول الدين، مطبعة الدولة، إستانبول، الطبعة الأولى، (٥١٣٤٦)، ص ٣٣٥: ٣٣٧.

حتى أن المطالع لأقوال المتأخرين من الأشاعرة يجد أن كثيرًا منهم يكفرون كبار أئمة أهل السنة، وذلك مثل ما حصل لابن تيمية، وكذلك تلميذه ابن القيم، فكثير من المتأخرين يصفونهم بالكفر تارة، وبالإلحاد تارة، وبالزندقة أخرى. ومن هؤلاء السبكي في الدرّة المضية، والذي قال: «أما بعد، فإنه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاهد، بعد أن كان مستترًا بتبعية الكتاب والسنة، مظهرًا أنه داعٍ إلى الحق، هادٍ إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع، وشذ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع... فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاث والسبعين التي افتقرت عليها الأمة، ولا وقفت به مع أمة من الأمم»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضًا معقبًا على الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «فهو الملحد لعنه الله، وما أوقحه وما أكثر تجرؤه، أخزاه الله»<sup>(٢)</sup>.

وفي موطن آخر قال: «انتهى كلام هذا الملحد تباً له وقطع الله دابر كلامه»<sup>(٣)</sup>.

#### ثانيًا: التكفير بالأصول الكلامية:

إن علماء الأشاعرة لما كان يستدلون على وجود الله سبحانه وتعالى بأصول استنبطوها من علم الكلام والفلسفة اليونانية - والتي لا أصل لها لا في كتاب ولا سنة، ولا حتى سار عليها من أجل تقرير العقيدة سلف الأمة - كدليل الأعراض وحوادث الأجسام، فقد أنكروا على من لم يستدل على وجود الخالق بالطريقة التي ابتدعوها، والأصول التي اتخذوها، إلى أن وصل بهم الأمر إلى التكفير بهذه الأصول الكلامية.

ولذلك فمما يظهر من فساد هذه الأدلة ما يلزم منها من اللوازم الباطلة، وأهم وأخطر ما يلزم من دليل الحوادث - على سبيل المثال من اللوازم الباطلة أنهم جعلوه دليلًا على معرفة الله، ومعرفة الله هي عندهم أول واجب على المكلف في الإيمان بالله، فيلزم من ذلك أن من لم يعرف الله بهذا الدليل فليس بمسلم، ومنه يلزم تكفير عموم المسلمين فإن أكثر المسلمين لا يعرفون هذا الدليل»<sup>(٤)</sup>.

(١) علي بن عبد الكافي السبكي، الدرّة المضية في الرد على ابن تيمية، مطبعة الترقى، (١٣٤٧هـ)، (ص ١٥١-١٥٢).

(٢) أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الكبير، السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، - ويقصد به ابن القيم-، المكتبة الأزهرية للتراث، درب الأتراك، مصر، ومعه تكملة الرد لمحمد زاهد ابن الحسن الكوثري، (ص ٤١).

(٣) علي بن عبد الكافي السبكي، السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، - ويقصد به ابن القيم-، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٤) حسان بن إبراهيم الرديعان، عقيدة الأشاعرة دراسة نقدية لمنظومة جوهرية التوحيد، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٣٢هـ)، ص ٨٤.

قال ابن حجر العسقلاني: "وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه... ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولها بالتحصيل، وإن من لم يستعمل ما اصطلموا عليه فهو عامي جاهل"<sup>(١)</sup>.

كما قال أبو حامد الغزالي: «من أشد الناس غلوًا وإسرافًا، طائفة من المتكلمين كفرُوا عوام المسلمين، وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا، ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتنا التي حررناها، فهو كافر"<sup>(٢)</sup>.

فهذا عبد القاهر البغدادي: "قد جعل ما تحكم به عقول المتكلمين من أصول وقضايا عقلية مبتدعة هو الحاكم بدخول شخص في الإسلام والإيمان أو خروجه، فقد قال: "والصحيح عندنا أن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه، وقدمه، وصفاته... فكل من أقر بذلك كله ولم يشبهه ببدعة تؤدي إلى الكفر، فهو السني الموحد..."<sup>(٣)</sup>.

### ثالثًا: التكفير بالتمسك بظواهر نصوص الكتاب والسنة:

لما اعتمد متأخرو الأشاعرة في فهمهم واستدلالاتهم على أدلة العقول في العديد من المسائل التي لا يمكن للعقل أن يكون محكمًا فيها فقد ضلت أحكامهم، وزاغت أبصارهم عن فهم وإدراك الحقائق. ومن تلك المسائل ظواهر نصوص الكتاب والسنة، والتي جاء موقفهم منها إما التأويل الفاسد من خلال المجاز وغيره، أو التفويض، وجاء موقفهم من مخالفة هذا بأن قالوا: أن من خالف ذلك فهو من أهل الضلال والبدعة الكفر.

وذلك ما أشار إليه السبكي، فقد قال: «الحشوية، وهم طائفة ضلوا عن سواء السبيل وعميت أبصارهم، يجرون آيات الصفات على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد»<sup>(٤)</sup>.

وقال ولده تاج الدين السبكي عن الذين أخذوا بظواهر النصوص، - وهو يلعنهم ويرميهم بأنهم "عباد وثن" - : «إنما المصيبة الكبرى والداهية الدهيئة الإمرار على الظاهر والاعتقاد أنه المراد، وأنه لا يستحيل على الباري، فذلك قول

(١) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، (٥١٣٧٩)، (٢٥٣/١٣).

(٢) أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة، دار المنهاج، الطبعة الأولى، (٢٠١٧م)، ص ٧٥.

(٣) عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٩٧٧م)، ص ١٠.

(٤) علي بن عبد الكافي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٨٤م)، (١/٣٦١).

المجسمة، عباد الوثن الذين في قلوبهم زيغ يحملهم الزيغ على إتباع المتشابه ابتغاء الفتنة عليهم لعائن الله ترى واحدة بعد أخرى، ما أجرأهم على الكذب وأقل فهمهم للحقائق»<sup>(١)</sup>.

قال السنوسي: «أصول الكفر ستة ... والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواعد الشرعية»<sup>(٢)</sup>. وذكر الصاوي بعد أن أورد أصول الكفر السنة التي نقلها عن السنوسي، ومنها هذه الأصل السادس قال: «والتمسك بظاهر الكتاب والسنة: أصل ضلال الحشوية، فقالوا بالتشبيه، والتجسيم، والجهة عملاً بظاهر: "الرحمن على العرش استوى" [طه الآية: ٥]، "أَمْ أَمْنُتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ" [الملك الآية: ١٦]، "لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ" [ص الآية: ٧٥]. وأكمل: «وقول السنوسي في شرح الصغرى: "أصول الكفر ستة" أي باعتبار جعل التمسك بظاهر القرآن والسنة، والجهل بالقواعد العقلية واللسان العربي شيئاً واحداً؛ لأن الأول ناشئ عن الثاني»<sup>(٣)</sup>.

#### ➤ مبالغتهم في إطلاق حكم الكفر:

#### ❖ سبب الاختلاف حول المسألة:

#### أولاً: إشكالية تكفير العوام:

وما سبق طرحه يُسَلِّم القارئ ليصل إلى نقطة هامة، ألا وهي تكفير متأخري الأشاعرة للعوام، فمسألة التكفير في حد ذاتها تعد من المسائل الشائكة في الدين، فهي من أكثر القضايا إثارة للجدل في تاريخ الفكر الإسلامي، ولذلك أثير حولها العديد من الشبهات، كما أن هذه المسألة كانت مثار جدل ونقاش محتدم بين علماء الغرب الإسلامي في القرن العاشر، كما عرفت قبل عصر المؤلف فتنة التشديد في الحكم على إيمان العوام من بعض العلماء الذي تجرؤوا على تكفير عامة المسلمين؛ بسبب عدم معرفتهم بأدلة المتكلمين، وبذلك استباحوا أموالهم وحكموا بفساد زواجهم، وغير ذلك من الآثار المترتبة على التكفير<sup>(٤)</sup>، وهو ما تصدى للرد عليه الشيخ عبد الكريم الوهراني في مؤلفه (الجيش والكمين لمن كفر عامة المسلمين).

(١) عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة همر، مصر، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ)، (٥/١٩٢).

(٢) محمد بن يوسف السنوسي، شرح العقيدة الصغرى، وهو شرح العقيدة المسماة "أم البراهين، دار التقوى، دمشق، الشام، الطبعة الأولى، (٢٠١٩م)، ص ٢٨٨.

(٣) أحمد بن محمد الصاوي، الشرح الصاوي على جوهر التوحيد، تحقيق: د. عبد الفتاح البيزم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، (د.ت)، ص ٢٥٢: ٢٥٣.

(٤) محمد شقرون الوهراني، الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين، دار الصحابة للتراث، طنطا، (١٩٩٢م)، ص ١٧، ١٨.

"كما وقعت فتنة أخرى ترأسها ابن أبي محلى في مشروعه الذي انطلق من سجلماسة، وصنّف مؤلفه الذي أسماه "المنقذة"، والذي زعم فيه ظهور الكفر المجمع عليه في العامة وأكثر الطلبة الذين يحفظون القرآن، وقام أبو سالم العياشي المتوفى عام (١٠٩٠هـ) بالرد عليه في مصنفه "الحكم بالعدل والإنصاف، وكذلك الشيخ مبارك بن محمد العنبري السجلماسي المتوفى عام (١٠٩٠هـ) في مؤلفه "الكشف والتبيين". وجرت مناظرات بين الشيخ السنوسي المعروف بتشدده في مسألة وجوب النظر مع الشيخ ابن زكري، حول إيمان المقلد، فالإمام السنوسي يرى أن التقليد في الإيمان لا يجوز، وقد حكى في ذلك الإجماع عن الجمهور والمحققين"<sup>(١)</sup>، فقد قال: "وإلى وجوب المعرفة وعدم الاكتفاء بالتقليد ذهب جمهور أهل العلم كالشيخ أبي الحسن الأشعري، والقاضي أبي بكر الباقلاني، وإمام الحرمين، وحكاه ابن القصار عن مالك أيضاً"<sup>(٢)</sup>. وهو الرأي الذي عارضه الشيخ أحمد بن زكري، وقد برر ذلك بأن أشار إلى أن الخطأ فيه هو نسبة الإجماع في نبذ التقليد في العقائد إلى أئمة الأشاعرة، فهو يرى أن مسألة التقليد لم يقع فيها أي إجماع، وأن الإجماع الذي أشار إليه الإمام السنوسي إنما هو مجرد التباس، فقد ذكر في منظومته محصل المقاصد"<sup>(٣)</sup>:

قلت كعزو ذلك بعض الناس لمذهب الجمهور بالتباس

وإنما المنسوب للجمهور النفي للتقليد في المذكور

وقد كثر إبطال قول هذا المعاصر نحو ما قال الشيخ المنحور، فقد أشار كل منهما لإبطال تأويل الآخر"<sup>(٤)</sup>.

والمطالع لتاريخ هذه الفتنة يلاحظ كيف أن هؤلاء العلماء خدموا جانب الأمن العقدي بكافة السبل مما أوتوا من علم باللسان والقلم، فإذا نظر إلى مجموع عناوين مصنفات تلك الفترة لتبين له أن المقياس العام الذي يحرك الردود والانتقادات هو الحفاظ على الأمن العقدي لعامة للمسلمين من التطرف والغلو،

(١) هاجر ناجي، الأمن الفكري والعقدي عند أشاعرة الغرب الإسلامي: الشيخ أبو عبد الله النواتي أنموذجاً، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، مجلد (١٢)، العدد (٢)، (٢٠٢٢م)، ص ١٠٩.

(٢) أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي، "شرح أم البراهين"، مطبعة الاستقامة، الطبعة الأولى، (١٣٥١هـ)، ص ١٤.

(٣) الإمام أبي العباس أحمد الفارسي (ت ٩٩٥هـ)، "نظم الفرائد ومبدي الفوائد لمحصل المقاصد، لابن زكري التلمساني (ت ٩٠٠هـ)"، تحقيق: عبد الرزاق دحمون، الطبعة الأولى، الطبعة الأولى، (٢٠١٤م)، (١/٢٨٩).

(٤) أبو العباس أحمد المنجور الفاسي (ت ٩٩٥هـ)، "نظم الفرائد ومبدي الفوائد في شرح محصل المقاصد لابن زكري التلمساني (ت ٩٠٠هـ)"، تحقيق: عبد الرزاق دحمون، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، (٢٠١٤م)، (١/٢٩٧).

وصيانة عقائد المسلمين من غلو الغالين، وانحراف الفكر عن مساره الوسطي، وهو أمر يشرح إلى أي حد كان المذهب السني مسكوناً بهاجس التدقيق في تصفية المذهب العقدي، وتنقيحه، وتحقيقه. فتلك أمثلة شاهدة على ما عرفته هذه القرون المتأخرة، وخاصة القرن العاشر والحادي عشر من تصعيب في بعض القضايا العقائدية، فكان لا بد من أن يكون لها صدى في فكر علماء العقديّة، وكل منهم سيديلي بدلوه في هذه المسألة التي شغلت العامة والخاصة، مما يستوجب على العلماء أن يخصصوا لها مباحثهم ومؤلفاتهم، فيحاولوا أن يوضحوا ويجلّوا ما قرره جمهور الأشاعرة والتزموه في هذه القضية.

#### ❖ الأثر المترتب عليه:

#### ثانياً: حكمهم على بعض مخالفيهم بالنار:

والمطلع على ما سبق ذكره من أن الأشاعرة المتقدمين قد كفروا غيرهم للأسباب سابقة الذكر، يخلص إلى أنهم أطلقوا أحكام الكفر على كل من خالفهم، إلى أن وصل بهم الأمر لأن حكموا بالنار على بعض مخالفيهم، فقد كان حكمهم على مخالفيهم في الدنيا أن وصفوهم بأوصاف نحو الكفر والبدعة، بل وأخرجوا أقوام من الدين جماعات وأفراداً، أما حكم مخالفيهم في الآخرة فقد جزم به أقوام منهم، حيث جمعوا لمخالفيهم بين حكم الدنيا بالكفر والتبديع، وبين حكم الآخرة بدخول النار.

قال الصاوي: "... قوله: فحاذر المحالاً" بكسر الميم قال تعالى: "وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ" [الرعد الآية: ١٣] أي: العقاب، أي: احذر عقاب الله النازل بالقائلين بوجوب الصلاح أو الأصلح؛ لأنها ضلالة، وكل ضلالة في النار، أي: أصحابها<sup>(١)</sup>، حيث يشير إلى أن أصحاب هذه الضلالة، وهم المعتزلة الذين قالوا بالصلاح والأصلح في النار، وهو حكم التعدي والمجاوزة التي غيه لا يمكن إغفالها.

وهنا تتضح مخلفتهم لمنهج أهل السنة والجماعة، والذي ينص على أن أهل السنة والجماعة في هذه القضية أنهم لا يشهدون بجنة ولا نار إلا لمن شهد له بذلك الكتاب والسنة، فلا يشهدون على شخص بعينه بالنار حتى ولو صدر منه قول الكفر.

#### ❖ الراجع:

مما سبق عرضه ومما وصل لعلم الباحثة من معلومات حول المسألة، توصلت الباحثة إلى أن الراجع في المسألة من مجمل ما سبق هو أن بعض الأشاعرة المتأخرين قد بالغوا في أحكامهم على الناس في المسائل المختلفة ما

(١) أحمد بن محمد الصاوي، (د. ت): الشرح الصاوي على جوهرة التوحيد، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

أوصلهم في الختام إلى أن جنح بهم فكرهم إلى إطلاق حكم الكفر على الناس دون سند، إلا أن ذلك لا يعني أن جوهر مذهب الأشاعرة تكفير الناس وإطلاق أحكام التكفير دون وعي، وإنما أصل مذهب الأشاعرة الوسطية، وتحري الأدلة الشرعية الدامغة قبل الحكم، ولم يكن إباحة إطلاق حكم الكفر على الناس دون دليل إلا تشدد ومبالغة من بعض المتأخرين من علماء الأشاعرة.

### ❖ كيف يتحقق السلم المجتمعي من خلال العرض السابق لقضية التكفير عند الأشاعرة:

تتحقق حالة السلم والوئام المجتمعي بين درجات المجتمع وقواه، إذا تحققت الوسطية الفكرية لدى طوائف المجتمع عامة، والعقول التي توجه أفكار المجتمع خاصة، فأصحاب المذاهب الفكرية "العقدية" يوجهون عقول أفراد المجتمع في أهم المسائل وأخطرها، والتي تُشكّل جوهر فكرهم وعقيدتهم.

ومذهب الأشاعرة كما ذكرنا سابقاً مذهب جاء ليكمل طريق أهل الوسطية من أهل السنة والجماعة، فلقد سار على نهجهم، بداية من صاحب المذهب الإمام أبي الحسن الأشعري، وصولاً للشاعرة المتأخرين، ومن نهج الصالحين وأهل الوسطية دفع الاتهامات عن العباد مالم تتوفر عليها قرينة مؤكدة.

وفي القضية مثار بحثنا الحالي- "التكفير" - فإن الوسطية فرض واجب فيها؛ لأن لو لم يتم توضيح الآراء الحقيقية لأصحاب مذهب الأشاعرة بصورة جلية لترتب على ذلك الخلط في الآراء حول المذهب الذي في جوهره ما دعا لتكفير أحد من أهل القبلة، وإنما جاءت بعض الآراء التي ذكرت من بعض متأخري الأشاعرة، فهي لا تمثل جوهر المذهب، وإنما هي آراء فردية وقليلة لا تُشكّل المذهب العام لأصحاب المذهب.

فلو تركت الأمور لفهم العوام دون توضيح من أهل التخصص لوقع بينهم اللبس في فهم القضية فراحوا يطلقون حكم الكفر دون وعي، ولكن جاء هذا المبحث الحالي ليضع يد القارئ على أهم ما ورد في القضية من آراء، وذلك لتحقيق السلم في المجتمع، فالسلم المجتمعي ما هو إلا حالة تصف ما فُطر المرء عليه في تآلف ووائم داخل المجتمع، ولذلك نجد أن الحاجة إلى السلم يعد ضرورة من أجل استمرار الحياة، وانعدامه داخل المجتمع يؤدي إلى القلق والاضطراب بين الأفراد المجتمع، ويحول دون تحقق الاستقرار فيه.

وعليه فالسلم المجتمعي يتحقق من خلال مذهب الأشاعرة في هذه القضية من خلال توضيح المنهج الوسطي لأصحاب المذهب الأشعري، والإشارة إلى أهم الآراء التي فهم منها أنها حكم بالكفر، لكي يتسنى للقارئ فهم الموضوع على حقيقته فلا تحدث الفرقة بين جموع المسلمين لخلافهم حول القضية.

### المبحث الثالث: مذهب الأشاعرة في صفات الله جلّ وعلا

اختلفت الفرق الإسلامية في أقوالهم في صفات المولى جلّ وعلا، فانتهجت كل فرقة منهجًا مختلفًا في إثباتها ونفيها، فمن هذه الفرق مَنْ نفى الصفات بالكلية، ومِنْ هؤلاء: الجهمية والمعتزلة، ومنهم من أثبت بعضها وتأول بعضها، ومنهم: الأشاعرة الذين أدخلوا العقل في مسألة الصفات، مما أدى إلى تأويلهم نصوص الصفات يخرج عن معناها الحقيقي إلى معنى آخر، ومن الأشاعرة من سلك مسلك التفويض في صفات الله، ومنهم من ردها إلى صفات المعاني السبع، وفي هذا المبحث سنتعرف على عقيدة الأشاعرة في إثبات صفات المولى جلّ وعلا، وتصنيفهم لصفات الله لعدة أقسام، ستعرف على بعضها نحو: صفات المعاني، والصفات الخبرية، وكل قسم من هذه الأقسام له حكم مختلف.

#### **المطلب الأول: مذهب الأشاعرة في صفات المعاني " المولى جلّ وعلا ":**

لقد ذهب البيجوري لتعريف صفات المعاني بأنها: "كل صفة قائمة بموصوف موجه له حكمًا ككونه قادرًا فإنه لازم للقدرة، وفي الحقيقة المعاني والمعنوية"<sup>(١)</sup>. وهنا نجد أن الأشاعرة قد أثبتوا الصفات العقلية السبعة. فنجد البيجوري قد قال: "الصفات القائمة بذاته هي صفات المعاني السبع"<sup>(٢)</sup>، وهي: (الحياة - العلم - الإرادة - السمع - البصر - القدرة - الكلام)، وهذه الصفات أثبتتها الأشاعرة على أنها قديمة؛ لكونها قد دل عليها العقل، بينما السمع لم يدل عليها. ومن الأدلة لديهم على قدمها نجد قول الجويني: "مذهب أهل الحق أن الباري حي عالم قادر له الحياة القديمة، والعلم القديم، والقدرة القديمة، والإرادة القديمة"<sup>(٣)</sup>. حيث ذهبوا إلى القول بإنها قديمة فقط؛ لأنها لو كانت حادثة للزم قيام الحوادث بذات المولى جلّ وعلا"<sup>(٤)</sup>.

أما بقية الصفات فلم يثبتونها كما هي، وإنما تارة يتأولونها وتارة يرجعونها إلى الصفات السبع التي أثبتوها نحو الصفات السلبية التي تدل على سلب ما لا يليق

(١) البيجوري، (٢٠٠٢م): حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد - المسمى - تحفة المرید علی جوهرة التوحيد، تحقيق: علي الشافعي، دار السلام للطباعة، والنشر، والتوزيع، والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ص ١٢٢

(٢) البيجوري، (٢٠٠٢م): المرجع السابق، ص ١٥١.

(٣) إمام الحرمين الجويني، (١٩٥٠م): الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني (٤١٩ - ٤٧٨)، تحقيق: محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، ص ٧٩.

(٤) البيجوري، (٢٠٠٢م): المرجع السابق، ص ١٥٣

بذات المولى جلّ وعلا؛ لأن إثباتها ينفي أضعافها، ومن هذه الصفات التي أرجعها للصفات السبع ما يلي<sup>(١)</sup>:

- الوجود.
- القدم.
- البقاء.
- مخالفة الحوادث.
- القيام بالنفس.
- الوحدانية.

"وأيضًا يرى علماء الأشاعرة أن الصفات التي ذكرت في القرآن الكريم ليست هي ذات الله سبحانه وتعالى سوى هذه المعاني السبع التي هي ذاته الله نحو: وجوب الذات"<sup>(٢)</sup>. وذلك لأن الحوادث تستوجب التسلسل، وعليه تنفي القدم لله سبحانه وتعالى، ومن ذلك قول الإيجي في الإرادة: "إرادته تعالى قديمة، إذ لو كانت حادث لاحتاجت إلى إرادة أخرى ولزم التسلسل"<sup>(٣)</sup>.

قال الإيجي: "إنه تعالى يمتنع أن يقوم بذاته حادث"، وقال: "ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، وهذا يبني على أربع مقدمات الأولى أن لكل صفة حادثة ضدًا، الثانية ضد الحادث حادث، الثالثة الذات لا تخلو عن الشيء وضده، الرابعة ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، والثلاث الأولى مشكلة، والرابعة إذا تمت تم الدليل الثاني"<sup>(٤)</sup>. وهنا نجد أن قول الإيجي يقوم كليًا على العقل، والمطالع لقوله يلحظ أنه يفسر كلامه بصور معقدة بعيدة عن مراد الله عزّ وجلّ.

وهنا ترى الباحثة أن المتتبع لأقول الأشاعرة يجد أنهم أثبتوا من صفات الله صفات المعاني فقط، بوصفها قديمة وليست حادثة، وحتى هذه الصفات السبع لم يثبتوها كإثبات أهل السنة والجماعة لها، وإنما لا بد عندهم فيها من تأويل، فنجدهم يثبتونها على أنها قديمة ويؤلون أحادها.

ومثال على هذه الصفات السبع التي زعم الأشاعرة فيها التأويل نجد صفة الكلام، والتي تعددت تأويلاتهم فيها على النحو التالي:

(أ) كلام الله سبحانه وتعالى صفة قديمة قائمة بالنفس فقط:

ومن ذلك ما قاله الإيجي حول معتقد الأشاعرة في صفة الكلام: "هو المعنى القائم بالنفس ونزعم أنه غير العبارات، إذ قد تختلف العبارات بالأزمنة، والأمكنة، والأقوام، بل قد يدل عليه بالإشارة والكتابة كما يدل عليه بالعبرة

(١) إمام الحرمين الجويني، (١٩٥٠م): المرجع السابق، ص ٤٠٨

(٢) البيجوري، (٢٠٠٢م): المرجع السابق، ص ٤٠٨.

(٣) عبد الرحمن الإيجي، (١٩٩٧م): المواقف، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى، ص ٧٢٥

(٤) عبد الرحمن الإيجي، (١٩٩٧م): المرجع السابق، ص ٦٧٨، ٦٨٠.

والطلب واحد لا يتغير وغير المتغير غير المتغير وأنه غير العلم، إذ قد يخبر الرجل عما لا يعلمه، بل يعلم خلافه أو يشك فيه وغير الإرادة؛ لأنه قد يأمر بما لا يريده كالمختبر لعبده هل يطيعه أم لا وكالمعتذر من ضرب عبده بعصيانه، فإنه قد يأمره، وهو يريد ألا يفعل المأمور به، فإذا هو صفة ثالثة قائمة بالذات ثم نزع أنه قديم الامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى " ... " إذا عرفت هذا فاعلم أن ما يقوله المعتزلة، وهو خلق الأصوات والحروف، وكونها حادثة قائمة، فنحن نقول به ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك وما نقوله من كلام النفس فهم ينكرون ثبوته ولو سلموه لم ينفوا قدمه فصار محل النزاع نفي المعنى وإثباته، فإذا الأدلة الدالة على حدوث الألفاظ إنما تفيدهم بالنسبة إلى الحانبلية، وأما بالنسبة إلينا فيكون نصباً للدليل في غير محل النزاع"<sup>(١)</sup>.

وهنا المطالع لما قاله الإيجي -سابق الذكر- يلحظ تناقضه، فقد زعم في نهاية قوله موافقته للمعتزلة في كون صفة الكلام حادثة، وأنه لا نزاع بينهم في ذلك. أما في بداية قوله فقد ذكر أن صفة الكلام قديمة قائمة بالنفس؛ وهذا يعد تناقضاً واضحاً منه في رأيه في المسألة.

وأيضاً نجد الجويني قال: "وذهب أهل الحق إلى إثبات الكلام القائم بالنفس. وهو الفكر الذي يدور في الخلد وتدل عليه العبارات تارة وما يصطلح عليه من الإشارات ونحوها أخرى، والدليل على إثبات الكلام القائم بالنفس: أن العاقل إذا أمر عبده بأمر وجد في نفسه اقتضاء الطاعة منه وجدانا ضرورياً، ثم إنه يدل على ما يجده ببعض اللغات وبضروب من الإشارات"<sup>(٢)</sup>.

وخالصة ما جاء عند كلاهما في قولهما السابقين أن الأشاعرة يثبتون أن كلام الله صفة قائمة قائمة بالنفس ذات معنى واحد فقط، وهدفهم من هذا نفي تجدد الكلام؛ لأنه يعد في زعمهم صفة نقص ودليل حدوث، فيثبتونها فقط كنوع قديم.

#### (ب) يزعمون أن كلام الله معنى واحد لا يتجزأ:

فقد قال الإيجي: "قوله تعالى: إنا أنزلناه قرآناً عربياً" يدل على أن كلام الله تعالى قد يكون عربياً تارة وعبرياً أخرى، فيكون متغيراً، وذلك دليل حدوثه"<sup>(٣)</sup>.

وقال الجويني: "كلام الله تعالى واحد، وهو متعلق بجميع متعلقاته، وكذلك القول في سائر صفاته"<sup>(٤)</sup>. وهو بذلك نجده يشير إلى أن كلام الله لا يتضمن معاني متعددة، إنما هو معنى واحد قائم بالذات.

(١) عبد الرحمن الإيجي، (١٩٩٧م): الموافق، مرجع سابق، ص ٧٦٠.

(٢) إمام الحرمين الجويني، (١٩٥٠م): المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٣) عبد الرحمن الإيجي، (١٩٩٧م): الموافق، مرجع سابق، ص ٧٣٧.

(٤) إمام الحرمين الجويني، (١٩٥٠م): المرجع السابق، ص ٣٦.

**المطلب الثاني: شبهات التي ذكرها الأشاعرة حول صفات المعاني ورد أهل السنة عليها، من أهم هذه الشبهات ما يلي:**

- **الشبهة الأولى:** وهي قولهم بأن: "إثبات الصفات يستلزم تسلسل الحوادث لله، والرب منزّه عن ذلك:

**رد العلماء على ذلك:** إن هذه المقدمة الكبرى التي استعملها الأشاعرة غير مسلمة، وهي نفي الحدوث بزعم تسلسل الحوادث إلى الله، فالله سبحانه وتعالى متصف بصفات الأفعال الاختيارية على جهة الأحاد هي حادثة، وأما نوعها وجنسها فهي أزلية. "ومن قال بأن إثبات الصفات الاختيارية يستوجب وجود التسلسل، فيقال له: أن هذا ليس تسلسلاً في الفاعلين والعلل الفاعلة، فإن هذا ممتنع باتفاق العقلاء؛ بل هو تسلسل في الآثار والأفعال، وهو حصول شيء بعد شيء"<sup>(١)</sup>

"كما أن هذه الصفات تقع لكونها قد سبق بها القضاء، لذلك هي تقع بمشيئة المولى سبحانه وتعالى، وقدرته، وإرادته، وإن كانت من لوازم ذاته كحياته وعلمه، وإرادته للمستقبلات مسبوقه بإرادته للماضي، وهو إنما أراد ذلك بعد أن أراد قبله ما يقتضي إرادته، فكان حصول الإرادة اللاحقة بالإرادة السابقة"<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - الشبهة الثانية: صفة الكلام قديمة قائمة بالذات فقط:

**رد العلماء على ذلك:** "أن أهل السنة يؤمنون بما دلت عليه هذه النصوص بأن الله سبحانه وتعالى يتكلم ويكلم من شاء كيف شاء، وأنه جلّ في علاه لم يزل متكلمًا إذا شاء بما شاء وكيف شاء، فيوصف بأنه بالقول يقول، وبأنه يتكلم، وأنه ينادي ويوصف بأنه ينادي بالمناداة، وكذلك يناجي، فالله سبحانه يتكلم كلامًا يسمعه من شاء من عباده، إذن هو يتكلم بحرف وصوت يعني: بالكلمات بكلمات بحروف، فكلامه حروف، وكلمات، وسور، وآيات، ولذلك يجب إثبات صفة الكلام له، مع نفي مماثلة الله سبحانه وتعالى للمخلوقات، فكلامه وتكلمه ليس ككلام أحد من الخلق، قال تعالى: "أَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"<sup>(٣)</sup>.

**أهم ما ورد من ردود أهل السنة والجماعة عليهم نذكر منه ما يلي:**

**(أ) صفة الكلام أحادها حادثة بنص محكم آيات الله:** صفة كلام عند الله صفة

أزلية، فالله يتكلم إذا شاء متى شاء، فقد كلم الله آدم وقت خلقه، وكلم

موسى في وقت وجوده، وكلم نبينا محمد - ﷺ - ليلة المعراج، وسيكلم الله

<sup>(١)</sup> تقي الدين ابن تيمية الحراني، (٥١٤٢٢): جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى، ص ٢٢.

<sup>(٢)</sup> تقي الدين ابن تيمية الحراني، (٥١٤٢٢): المرجع السابق، ص ٣٩.

<sup>(٣)</sup> عبد الرحمن بن ناصر البراك، (٢٠٠٩م): توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثانية، ص ٤١.

أهل الجنة يوم القيامة حين يدخلونها، ومن الأدلة التي تثبت كلام الله متى شاء إذا شاء، وأنه ليس قديماً فقط ما يلي:

- قول الله تعالى: "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم" [سورة المائدة الآية: ١١٦].
- وقوله: "وكلم الله موسى تكليماً" [سورة النساء الآية: ١٦٤].
- وقوله: "منهم من كلم الله" [سورة البقرة الآية: ٢٥٣].
- وقوله: "ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين" [سورة القصص الآية: ٦٥].
- وقوله: "ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه" [سورة الأعراف الآية: ١٤٣].
- وقوله: "ونادينا من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجياً" [سورة مريم الآية: ٥٢].
- وقوله: "وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكم الشجرة". [سورة الأعراف الآية: ٢٢].

"وكثير من النصوص جاءت لتدل على أن الله سبحانه وتعالى يتصف بصفة الكلام، وأنه سبحانه يتكلم حين يشاء ومتى شاء، وأن من كمال الله تبارك وتعالى أنه كلم موسى في هذا الوقت الذي كان فيه موسى بجانب الطور، كلاماً سمعه موسى عليه السلام"<sup>(١)</sup>. "حيث نادى الله سبحانه وتعالى موسى، وناجاه، والنداء هنا هو الخطاب بصوت رفيع، والقول في لغة العرب يكون بالصوت، ولا يسمى نداء دون صوت، والمناجاة هي الخطاب بصوت خفي، فموسى هو كلیم الله، وهو نجي الله، كلیم مكلّم، كلمه الله وناجاه، ناداه وناجاه"<sup>(٢)</sup>.

#### (ب) صفة الكلام لله هي صفة كمال وليست صفة نقصان:

"إن القول بأن المولى جلّ وعلا لا يتكلم بإرادته ومشيئته هو بمثابة وصف الله بصفة نقص، والله - جلّ في علاه - منزّه عن النقائص، فكلام الله يختلف في هيئته وكيفيته عن كلام البشر، وإثبات صفة الكلام لله تعالى لا يستوجب المشابهة، فقد قال الله سبحانه وتعالى: "ليس كمثله شيء". فإذا فرضنا أن ثلاثة أفراد: الأول منهم أخرس غير قادر على الكلام، والثاني: يهذي ليلاً ونهاراً دون أن يكل، والفرد الثالث: لديه القدرة على الكلام، ولكنه يتكلم إذا شاء متى شاء، فأَيُّ الثلاثة أكمل؟ وهنا نقول إن الأول أخرس، وقد نتفق على أنه متصف بصفة

(١) عبد الرحمن بن صالح المحمود، (د. ت): شرح لمعة الاعتقاد، دروس صوتية قام بتفريغها موقع

الشبكة الإسلامية، الموقع: <https://shamela.ws/book/7740>، ص ١٣.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر البراك، (٢٠٠٩م): مرجع سابق، ص ١٤٤.

نقص؛ لكونه لا يتكلم، لكن إذا جاءنا واحد، وقال: هذا المهذار الذي يتكلم ليلاً نهاراً أحسن من ذلك الذي يتكلم مرة ويسكت، فنقول: لا، وعليه فلا شك أن الأكمل هو الذي يتكلم إذا شاء، هذا بالنسبة للعباد، والله المثل الأعلى<sup>(١)</sup>.

"وعليه فنفي الكلام عن الله مبالغة في التنقص لرب العزة سبحانه؛ لأن الكلام كمال، فالذي يتكلم أكمل من الذي لا يتكلم، فعندما أنب الله سبحانه بني إسرائيل بسبب عبادتهم للعجل، ذكر أن العجل لا يتكلم، فكيف يعبدونه، وذلك في قوله تعالى: "وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ ۗ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۚ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ" [سورة الأعراف الآية: ١٤٨]، وقوله: " فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ \* أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا" [سورة صه الآية: ٨٨، ٨٩]"<sup>(٢)</sup>.

#### (ج) فساد زعمهم بأن كلام الله معنى واحد لا يتبعض:

وهنا رد ابن تيمية عليهم بقوله: "عندكم هو معنى واحد لا يتبعض ولا يتعدد فموسى فهم المعنى كله أو بعضه؟ إن قلتم كله فقد علم الله كله، وإن قلتم بعضه فقد تبعض وعندكم لا يتبعض"<sup>(٣)</sup>. وقولهم هذا فاسد ومتناقض؛ فإن لازمه أن يكون معنى قول الله تعالى: "ولا تقربوا الربى" هو معنى قوله: "وأقيموا الصلاة"؛ لأنهم حينما زعموا أن كلام الله معنى واحد، وأن التعبيرات عنه مخلوقة؛ يكون معنى واحد لا فرق بينهما؛ لأن التفريق إنما جاء في التعبير فيما بعد على السنة الأنبياء، وليس من كلام الله، وهذا يؤدي إلى القول بالباطل"<sup>(٤)</sup>.

#### المبحث الثاني: الصفات الخبرية عند الأشاعرة:

##### المطلب الأول: معتقد الأشاعرة في الصفات الخبرية:

لقد أثبت الإمام أبو الحسن الأشعري الصفات الخبرية الذاتية التي لا تنفك عن المولى جلّ وعلا، وهي نحو: (الوجه - اليدين - العين - اليمين - القبض - الأصابع - الساق)، وهي ذات الصفات التي أثبتتها ظواهر الآيات والأحاديث له جلّ في علاه<sup>(٥)</sup>، كما تأولها كثير من الأشاعرة نحو الجويني الذي قال: "ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين، والعينين، والوجه صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل

(١) عبد الرحمن بن صالح المحمود، (د.ت): مرجع سابق، ص ١٣.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر البراك، (٢٠٠٩م): مرجع سابق، ص ١٤٤.

(٣) تقي الدين ابن تيمية الحراني، (١٤٢٢هـ): مرجع سابق، ص ١٢.

(٤) محمد بن أبي العز، (٢٠٠٥م): شرح العقيدة الطحاوية، ناصر الدين الألباني، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى، ص ٣.

(٥) أبو الحسن الأشعري، (١٤٢٢هـ): الإبانة عن أصول الديانة، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى،

إلى إثباتها السمع دون قضية العقل، والذي يصح عندنا حمل اليدين على القدرة، وحمل العينين على البصر، وحمل الوجه على الوجود"، كما قال: "فأما الآية المشتملة على ذكر العينين فمزالة الظاهر اتفاقاً، وكذلك قوله تعالى: "تجري بأعيننا"، ولم يثبت أحد من المنتمين إلى التحقيق أعياناً لله تعالى والمعنى بالآية أنها تجري بأعيننا وهي منا بالمكان المحوط بالملائكة، والحفظ، والرعاية... وأما قوله: "وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" [سورة الرحمن الآية: ٢٧]، فلا وجه لحمل الوجه على صفة، إذ لا تختص بالبقاء بعد فناء الخلق صفة لله تعالى، بل هو الباقي بصفاته الواجبة، فالأظهر حمل الوجه على الوجود"<sup>(١)</sup>.

كما اتبع الجويني منهج الإلزام مع من أثبت تلك الصفات من أصحابه من الأشاعرة، فيقول: "ومن سلك من أصحابنا سبيل إثبات هذه الصفات بظواهر هذه الآيات ألزمه سوق كلامه أن يجعل الاستواء، والمجيء، والنزول، والجنب من الصفات تمسكا من الظاهر، فإن ساع تأويلها فيما يتفق عليه، لم يبعد أيضاً طريق التأويل فيما ذكرناه، وكنا على الإضراب عن الكلام على الظواهر، فإذا عرض فسنشير إلى جمل منها في الكتاب والسنة، وقد صرح بالاسترواح إليها الحشوية الرعاع المجسمة"<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب الرازي في تأويل الصفات الخيرية - في صفة الوجه لله سبحانه وتعالى - إلى القول بأن "واعلم أنه لا يمكن أن يكون الوجه المذكور في هذه الآيات، وهذه الأخبار هو الوجه بمعنى العضو والجراحة. فأول صفة الوجه لله تعالى إلى: الذات، والرضا، والوجهة، كما أول العين إلى شدة العناية. واليد إلى القدرة أو النعمة، وأول القبض إلى القدرة والملك، واليمين والأصبع إلى القدرة، والأنامل أولها بالعناية، والساق أولها بشدة أهوال يوم القيامة، والقدمين بالإصلاح وإزالة الخصومة"<sup>(٣)</sup>.

وهذا التأويل راجع إلى تقديم العقل على نصوص الشرع، فأحياناً كانوا يجنحون للتأويل لمخالفتها لعقولهم، فقد قال الرازي في تأويل قول الله سبحانه وتعالى: "وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" [سورة الزمر الآية: ٦٧]: "اعلم أن ظاهر الآية يقتضي أن تكون الأرض قبضته، وذلك محال لأن الأرض محتوية على النجاسات... وقبضة الخالق لا تكون إلا مخلوقة". كما زعموا أن إثبات هذه

(١) إمام الحرمين الجويني، (٩٥٠م): المرجع السابق، ص ١٥٥، ١٥٧.

(٢) سلوى بنت عبد الله بن محمد الحمدان، (٢٠١٨م): مذهب الأشاعرة في صفات الله تعالى والرد عليهم، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، المؤسسة العربية للاستثمارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، العدد (١٣)، الجزء (١)، ص ١٨٢.

(٣) الرازي، (٥١٤٠٦): أساس التقديس، تحقيق: أحمد السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص ١٥٠، ١٥٣، ٣٢٢، ١٧٧-١٨٧.

الصفات يستوجب تشبيه الخالق بخلقه. ومن ذلك قول الرازي: " بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ " [سورة المائدة الآية: ٦٤] لو حملناه على ظاهره لزم كون يديه مبسوطتين مثل يد صاحب الشنج - تعالى الله عنه - فثبت أن المراد منه إفاضة النعم . كما زعم الرازي في إثبات الإصبع لله أنه يقتضي العجز والحاجة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>(١)</sup> ومن ذلك قول الجويني: "من صفات نفس القديم تعالى مخالفته للحوادث، فالرب تعالى لا يشبه شيئاً من الحوادث ولا يشبهه شيء منها"<sup>(٢)</sup>.

**المطلب الثاني: شبهات الأشاعرة في الصفات الخبرية مع الرد عليها "زعم الأشاعرة أن إثبات الصفات الخبرية يستلزم تشبيه الخالق بالمخلوقين" والرد فيها كالاتي:**

إن قول الله سبحانه وتعالى: " أَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [سورة الشورى الآية: ١١]، ليس المراد به نفي الصفات كما قال الأشاعرة، فالله سبحانه لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه، فصفات المولى جلّ وعلا كلها مخالفة لصفات خلقه، فیده ليست كید عباده، وكذلك ساقه، وعينه، وباقي صفاته الخبرية جلّ في علاه، فمن شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر<sup>(٣)</sup>، وعليه فاشترك الله سبحانه وتعالى في الأسماء لا يستوجب التساوي في المسمى، فالله إذا كان له يد، والإنسان له يد، فید الله لا تشبه يد الإنسان، وبالقياس الجلي فالله سبحانه وتعالى خلق للإنسان يداً، وخلق للبعير يداً، وخلق للحمار يداً، وخلق للقرد يداً، فهل تتماثل يد الإنسان مع يد القرد أو الحمار؟

ولو أَعْتُدَّ بتفسير هؤلاء الأشاعرة لصفة اليد على سبيل المثال في قول الله تعالى: "يد الله فوق أيديهم" [سورة الفتح الآية: ١٠]، فهل سيكون المعنى المقصود من الآية: أن نعمة الله فوق أيديهم؟! وهل هؤلاء أعلم أم الله ورسوله، ثم الصحابة رضوان الله عليهم حتى يفسر اليد بما لم يفسروها؟! وهل الله سبحانه وتعالى عاجز عن أن يأتي بنفس اللغة، فيقول: نعمة الله فوق أيديهم؟ فكأنهم يقولون إن الله لم يجد من يعينه على أن يصرح بلفظ النعمة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فالله يقول: يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، وهم يحرفونها عن موضعها فيقولون: إن معناها النعمة، وهنا نجد أنه لو كانت اليد هنا بمعنى النعمة لأوضح النبي ﷺ ذلك؛ كونه مأمور شرعاً بأن يبين كل ما أنزله الله عليه، فإذا كان الرسول ﷺ لم يبين ذلك فالآية تفسر على ظاهرها، فقولهم لهذا المعنى أو التأويل يخالف ظاهر القرآن،

(١) الرازي، (٥١٤٠٦): مرجع سابق، ص ١٦٣: ١٧٧.

(٢) إمام الحرمين الجويني، (١٩٥٠م): المرجع السابق، ص ٣٤.

(٣) محمد بن أبي العز، (٢٠٠٥م): شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: ناصر الدين الألباني، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى، ص ١١٩.

والسنة، وإجماع السلف، وإذا افترضنا أن اليد هنا بمعنى النعمة، فلن يستقيم قول الله وقول نبيه: لأن الله تعالى يقول لإبليس - منكرًا عليه: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي"، فإذا وضعت كلمة نعمتي التي يؤولونها مكان كلمة يدي المذكورة في الآية للزم من ذلك لوازم باطلة منها: حصر نعمة الله في نعمتين فقط، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا أن يكون كذلك، فالله سبحانه وتعالى قال في محكم آياته: "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا"، فنعمة هنا مفردة مضافة فتشمل وتعم كافة النعم" (١)

### المحور الثاني: صفة القدم عند الأشاعرة:

#### أولاً: تعريف القدم:

قبل الخوض في خضم البحث عن مفهوم الأشاعرة لصفة القدم، يجب التطرق سريعًا إلى مفهومها:

"عند النظر إلى مفهوم القدم عند أهل الاصطلاح نجد أنه يوجد اتفاق فيما بينهم على أن القدم يدل على عدم سبق الوجود بالعدم، وهذا المدلول لهذه الكلمة يوافق أحد مدلولات الكلمة عند علماء اللغة، فقد السنوسي في تعريف للقدم: "أي غير مسبوق بعدم" (٢)، فالقديم هو الموجد الذي لم يسبق وجوده بعدم.

"وعلى الرغم من اتفاق علماء الاصطلاح على المعرف لهذا المعرف إلا أن التعبير عن هذا المعرف ورد عندهم بعدة قوالب لفظية، ولكن جميعها تدل على عين المعرف، ومن ذلك قول الفجيجي: "حقيقة القدم: هو سلب العدم السابق على الوجود، وإن شئت قلت: هو سلب الأولية الوجود، وإن شئت قلت: هو سلب الافتتاح للوجود" (٣)

#### ثانيًا: الأدلة النقلية لصفة القدم عند العلماء:

أشار العلماء إلى الأدلة النقلية لهذه الصفة، وفي ذلك يقول الإمام الغزنوي في شرحه للعقيدة الطحاوية: "معنى قوله تعالى (هو الأول) أي: الأول بذاته... غير متعلق بزمان" (٤) فأولية الله تعالى غير زمانية، وإذا كانت كذلك دل على عدم سبق العدم. ومن الأدلة على ذلك من القرآن والسنة قول الله تعالى: "هو الأول"

(١) محمد حسن عبد الغفار، (د. ت): شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الملف متاح على الرابط التالي: <https://shamela.ws/book/37696>، ص ٣.

(٢) محمد بن يوسف السنوسي، (٢٠٠٦م): شرح العقيدة الكبرى، تحقيق: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ص ١٠٦.

(٣) محمد بن بلقاسم الفجيجي، (٢٠١١م): شرح صغرى الصغرى، دار المفيد، الطبعة الأولى، ص ٦٨: ٦٩.

(٤) عمر بن الغزنوي، شرح عقيدة الإمام الطحاوي، ص ٤٧.

[سورة الحديد الآية: ٣]، ومن أقول المفسرين لهذه الآية نجد الإمام الطبري يقول: "هُوَ الْأَوَّلُ". قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ"<sup>(١)</sup>، وقال الإمام البغوي: "يعني هو (الأول) قبل كل شيء بلا ابتداء، كان هو ولم يكن شيء موجوداً"<sup>(٢)</sup>، وهنا نلاحظ أن في كلام البغوي تصريحاً بأن الأول هو الذي كان قبل كل شيء بلا ابتداء وهذا معنى القدم، عند العلماء.

ويفسر القرطبي معنى الأول الذي ورد في القرآن بحديث رسول الله ﷺ، فيقول: "قوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ} اختلف في معاني هذه الأسماء... وقد شرحها رسول الله ﷺ شرحاً يغني عن قول كل قائل، فقال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء"<sup>(٣)</sup>، وقال الإمام الرازي: "هو الأول لا أول قبله"<sup>(٤)</sup>، ومن الأقوال السابقة يتضح أن هذه الآية بمثابة دليل قاطع على صفة القدم لله سبحانه وتعالى.

ومن الألة من أحاديث رسول الله ﷺ أن الإمام مسلم ذكر في صحيحه بشرح الإمام النووي: "حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ سُهَيْلٍ قَالَ كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ، وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ أَقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ" قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: "وأما تسميته سبحانه وتعالى بالآخر... معناه الباقي بصفاته من العلم، والقدرة، وغيرهما التي كان عليها في الأزل، ويكون كذلك بعد موت. وَكَانَ يَرَوِي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ"<sup>(٥)</sup>: "الخلايق وذهاب علومهم، وقدرهم، وحواسهم، وتفرق أجسامهم"<sup>(٦)</sup>

(١) محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠)، (د. ت): جامع البيان في تفسير القرآن، دار هجر، الطبعة الأولى، ٢٢/٣٨٥.

(٢) محمد الحسين بن مسعود البغوي، (١٩٩٧م): معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، دار طيبة، الطبعة الرابعة، ٨/٢٩.

(٣) محمد بن أحمد القرطبي، (٢٠٠٣م): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٧/٢٣٦.

(٤) محمد بن عمر، (د. ت): الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١/٢٣٩.

(٥) محيي الدين النووي، (د. ت): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٧/٣٨.

(٦) محيي الدين النووي، (د. ت): مرجع سابق، ١٧/٣٨.

حيث استدل الإمام النووي على صفة قدم المول تبارك وتعالى عند شرح هذا الحديث بوجهين، هما:

**الوجه الأول:** قوله: "كان عليها في الأزل"، والمقصود من الأزل هنا القدم.

**الوجه الثاني:** استدلاله ببقاء الله على قدمه؛ لأن من اتصف بالبقاء لذاته يتصف بالقدم أيضاً، فمن ثبت قدمه استحاله عدمه.

**ثالثاً: أدلة الأشاعرة العقلية على صفة القدم:**

استدل الأشاعرة على صفة قدم الله تعالى بدليل عقلي يشير إليه الإمام البيجوري في قوله: "أنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، إذ لا واسطة، ولو كان حادثاً لافتقر المحدث، ولو افتقر المحدث لافتقر محدثه إلى محدث لانعقاد المماثلة بينهما، فيلزم الدور أو التسلسل، وكل منهما محال، فما أدى إليه وهو افتقاره لمحدث محال، فما أدى إليه وهو كونه حادثاً محال، فما أدى إليه وهو عدم كونه قديماً محال، وإذا استحاله عدم كونه قديماً ثبت كونه قديماً، وهو المطلوب"<sup>(١)</sup>.

حيث يشير الإمام البيجوري إلى أن "أي موجود إما أن يكون حادثاً أو قديماً، ولا قائل بموجود لا حادث ولا قديم، فلا نتعرض لدعوانا، وهي أن الله تعالى قديم، بل نسلم تنزلاً للخصم بأن الله حادث، فلو كان الله تعالى حادثاً بناءً على دعوى الخصم لزم من ذلك أن له همدتاً؛ لأنه لا معنى للحادث إلا أن له محدثاً، ثم هذا المحدث إما أن يكون قديماً، وهي دعوانا وإما أن يكون حادثاً، وهي دعوى الخصم، ثم في محدث هذا المحدث من محدثه وهلم جراء، فيلزم مما مضى إما الدور وإما التسلسل، وكلاهما محال، فما أدى إلى المحال محال، فنجد أن دعوى الخصم، وهي الحدوث لله تعالى لزم منها المحال المذكور، فهي إذن محالة، وإذا ثبت أنها محالة ثبت أن الحق هو قدم الله تعالى؛ لأنه موجود وكل موجود إما حادث وإما قديم"<sup>(٢)</sup>.

إن جمهور المتكلمين من الأشاعرة والفلاسفة لم يهنأ لأصل ذلك، فقالوا: المراد بالقدم: المتقدم، ولهم في ذلك عدة تأويلات هي"<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد خليل محمد النويهي، (٢٠١٨م): الصفات السلبية عند الأشاعرة وأدلتها النقلية والعقلية: دراسة تحليلية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، العدد (٣٥)، الجزء (٢)، ص ١٠٢٦.

(٢) محمد خليل محمد النويهي، (٢٠١٨م): مرجع سابق، ص ١٠٢٧.

(٣) أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، (د.ت): شرح صحيح مسلم، متوفر على الموقع التالي: <https://shamela.ws/book/37026>، تم الدخول للموقع بتاريخ:

"فالتأويل الأول لهم أن قالوا: ومعناه شائع في اللغة. ومعناه: حتى يضع الجبار فيها من قدمه إليها. وهذا التكلف حتى يهربوا من إثبات الصفة، ففسروا القدم بمعنى المتقدم، وذلك بلا جدال ضلال بعيد.

أما التأويل الثاني: أن المراد قدم بعض المخلوقين، فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم حتى يضع الجبار فيها قدمه. أي: قدم بعض خلقه.

والتأويل الثالث: أنه يحتمل أن في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية. يعني: يمكن واحد من الخلق اسمه (قدمه)، وهذا التأويل تأويل ضال. فقالوا: "حتى يضع الجبار فيها قدمه". أي: حتى يضع الجبار عبداً من عباده اسمه (قدمه). وقالوا: ويجوز أن يراد بالرجل الجماعة من الناس، لأن أهل العربية يقولون لمجموعة من الناس: رجل مثل: العصاة وغير ذلك فإنه يطلق على العصاة أيضاً رجل. قالوا: المقصود بالرجل هنا العصاة من الناس، ويجوز أن يراد بالرجل الجماعة من الناس، كما يقال: رجل من جراد. أي: قطعة منه".

ومن مجمل ما جاء في الأقوال المختلفة عن صفة القدم نجد أن:

قال القاضي: "أظهر التأويلات أنهم قوم استحقوها وخلقوا لها". قالوا: ولا بد من صرفه عن ظاهره، لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة على المولى جلّ وعلا. ولا شك أنه تستحيل الجارحة على الخالق سبحانه وتعالى، أي أن الله سبحانه لا توصف بأوصافه بالجوارح، فالمخلوق الذي من صنع الخالق صاحب جوارح، فتلك يد جارحة، وعين جارحة، وأذن جارحة، وأعضاء كلها جوارح، فيستحيل أن نسمي صفات الله سبحانه وتعالى بالجوارح، وإلا صرنا إلى التشبيه، وذلك دون شك كفر وضلال. فقد قيل: لما قام الدليل القطعي العقلي على استحالة إطلاق صفة الجارحة على الله، كان لا بد من صرف الرجل، ومن صرف القدم"<sup>(١)</sup>.

وهنا ترى الباحثة أن: الرد على هؤلاء الأشاعرة يتمثل في أنه: إذا كانوا يذهبون هذا المذهب، فهل يؤمنون بأن الله تعالى ذاتاً؟ ولا شك أن جوابهم سيكون بالتأكيد على أن له ذات. وهنا تتضح معضلة مهمة مفادها أن المخلوق ذات، وهم يقولون إن للمولى تبارك وتعالى ذاتاً، وهنا فلا بد أن يصرفوا ذات المولى لأنهم صرفوا الأوصاف، لأن ما من ذات إلا وهي موصوفة بأوصاف، فإذا كانوا قد صرفوا هذه الأوصاف فيجب عليهم أن يصرفوا الذات، ومن الثابت أن صرف الذات يساوي العدم. فإن قلتم: إن المولى سبحانه وتعالى عدم فقد كفرتم. وإن قلتم: أنه ذات فيلزم من ذلك أن ذاته متصفة بصفة، فلا يلزم تأويل صفات الله تعالى وتركها عن ظاهرها؛ وذلك لاستحالة الجارحة على الخالق. فالراجح أنه يستحيل

(١) أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، (د.ت): مرجع سابق، ٦/١٠.

على الخالق أن يوصف بالجوارح، ونحن كمسلمين إنما نثبت له الصفات ونؤمن بها كما جاءت، ولا نخوض فيها لا بتأويل ولا بكيفية.

❖ كيف يمكن أن يساهم هذا البحث "حول قضية الصفات في مذهب الأشاعرة" في تحقيق السلم المجتمعي:

هنا ترى الباحثة أن السلم المجتمعي يتحقق حين يتم توضيح الحقائق لجموع المسلمين على اختلافهم، بصورة يفهمها أهل التخصص والعوام على حد سواء، وذلك لكي نأمن اللبس في فهم هذه القضايا الهامة حول مسائل العقيدة، فهو اللبس الذي ربما يترتب عليهم خلل في ثوابت العقيدة عند أفراد المجتمع؛ ولذلك فبيان القضية على صورتها الحقيقية أولى لتحقيق السلم المجتمعي.

فالفهم الخاطئ قد يؤدي إلى بناء مجتمع كامل على أساس ضعيف يمكن أن يجنح بدفة المجتمع نحو التطرف الفكر والعقدي في بعض المسائل، وربما يصل في البعض الآخر بالأفراد إلى حد الكفر، وهذا ما وقع فيه المجسمة.

وبالحديث عن الأشاعرة نجد أن مذهبهم قولاً واحداً مذهب يسير على كثير مما قال به أهل السنة والجماعة، ولكن الآراء المختلفة حوله جعلت هناك العديد من الآراء حوله، والتي تداخلت وتباينت وفق منهج وفهم من ينقلها، وفي المسألة مثار هذا المبحث نجد أن الأشاعرة رغم وسطيتهم، فقد تباينت آراءهم هم قضية إثبات الصفات لله تعالى، ولكن المنتبِع لها يجد أنهم أثبتوا الصفات لله تعالى لا جدال بينهم في ذلك، ولكن منها ما أثبتوه مع تأويله، وهذا التأويل استخدموا فيه عقولهم فجنحت بهم في بعض الأحيان بعيداً عن معناه الأصلي فتأولوا الصفات.

ولذلك فإن توضيح آرائهم يحقق السلم المجتمعي من خلال أنه يؤدي إلى أمن اللبس حول هذه الآراء بين جموع أفراد المجتمع.

## النتائج والتوصيات:

### أولاً: النتائج:

- توصلت الدراسة إلى أن الراجح في مسألة النظر والتقليد في مذهب الأشاعرة أن الأشاعرة قالوا: "إنه لا يجوز التقليد في الأصول، فالحق أن المقلد في الإيمان عند الأشعري ليس مشركاً ولا كافرًا، وإن لم يسمه على الإطلاق مؤمنًا، وقياس أصل كلامه يقتضي أن يحكم له بجواز المغفرة له؛ لأنه غير مشرك ولا كافر. والأشعري إذا قال بأن المقلد ليس بمؤمن ولا كافر فهو لا يقول بالمنزلة بين المنزلتين.
- وتوصلت في مسألة التكفير في مذهب الأشاعرة إلى أن الأشاعرة لم يفكروا أحد من أهل القبلية بداية من إمام المذهب وحتى الأشاعرة المتأخرين إلا أن هناك بعض الآراء التي ترى أن قلة من الأشاعرة المتأخرين قد تشددوا في إطلاق أحكام التكفير فوصلوا إلى إطلاق أحكام الكفر دون دليل.
- وتوصلت في مسألة مذهب الأشاعرة في صفات الله جلّ وعلا، إلى أن الأشاعرة ساروا على مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات كثير من الصفات إلا أنهم ذهبوا إلى تأويل بعضها الآخر فأدى ذلك إلى أن خرجوا بها عن المقصد منها.
- وختامًا توصلت الدراسة الحالية إلى أن مذهب الأشاعرة من المذاهب السنة الوسطية إلا أن الجدل حوله جعل توضيحه مذاهبه بشكل جلي يؤدي إلى تحقيق السلم المجتمعي، حتى لا يبنني على فهم خاطئ له فهم خاطئ عند عامة الناس.

### ثانيًا: التوصيات:

- ١- توصي الدراسة الحالية بضرورة استكمال طريق الدراسة الحالية بأن يتم توضيح كافة النقاط المتعلقة بمذهب الأشاعرة للمسلمين، وذلك حتى يتم إماطة اللثام عن مذهب الأشاعرة الوسطي أمام الناس.
- ٢- كما توصي بضرورة عقد دراسات توظف مذاهب الدين الحنيف في تحقيق السلم المجتمعي؛ ليكون ذلك بمثابة رسالة للناس كافة بأن الدين الإسلامي هو دين تسامح ووسطية.
- ٣- كما توصي بدعم تجديد الخطاب الديني وتوظيف الدين لتحقيق التقدم، والرقى، والسلم.

### المصادر والمراجع:

- محمد أمين السقال، (٢٠١٦م): الاستدلال بالشاهد على الغائب في المذهب الأشعري: من نقد المواقف إلى بناء العقائد، مجلة الإبانة، مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، الرابطة المحمدية للعلماء، العدد (٤).
- إبراهيم محمد مرزوق، أوجه الاتفاق والاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية في ضوء الخلاف الفقهي بينهما مع تحقيق مخطوطة شرح منظومة السبكي في الخلافيات بين الأشاعرة والماتريدية، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، (١٩٩٤م).
- الوليد مسلم أحمد حسنين، موقف الأشاعرة من الفكر الفلسفي حتى نهاية القرن الثامن الهجري، رسالة دكتوراة، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (٢٠١٣).
- عزة بكر علي، تطور المذهب الأشعري الكلامي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، (٢٠١٤م).
- خالد محمد محمد، البناء المنهجي للمذهب الأشعري حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراة، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (٢٠١٨م).
- مريم محمد علي المغربي، التعايش والسلم المجتمعي في السنة النبوية، حوليات كلية أصول الدين والدعوة، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنوفية، العدد (٣٧)، (٢٠١٨م).
- الأخلاق وأثرها في تحقيق السلم المجتمعي: دراسة في ضوء القرآن والسنة، أسماء عبادة عبادة محمد، مجلة كلية أصول الدين والدعوة، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، أسبوط، العدد (٣٩)، الجزء (٢)، (٢٠٢١م)، ص ص: ١١٤٦ - ١٢١٦.
- علي بونوة، السلم المجتمعي وآليات تحقيقه، مجلة أبحاث، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، المجلد (٧)، العدد (١)، (٢٠٢٢م)، ص ص: ٣٢٥ - ٣٣٥.
- محمد أرارو، أحكام النظر والتقليد عند أهل السنة الأشاعرة، الغنية، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز دارس بن إسماعيل لتقريب المذهب والعقيدة والسلوك، ج (١١، ١٢)، (٢٠٢١م).
- الإمام أبي القاسم عبد الكريم هوازن القشيري (ت ٥٤٦هـ): شكايه أهل السنة بحكاية ما نالهم من محنة، تحقيق: محمد خالد ذو الغنى، محمد يوسف إدريس، دار النور المبين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (٢٠١٦م).

- أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، طبعة المكتبة الأزهرية، الطبعة الأولى، (د.ت).
- نور الدين محمد بن أبي الطيب الشيرازي الشافعي، شرح الشيرازي على منظومة السبكي في بيان الاختلاف بين الأشعرية والماتريدية في علم التوحيد، مخطوط بدار الكتب المصرية، (١٩١٦م علم الكلام).
- الإمام أبي القاسم عبد الكريم هوازن القشيري (ت ٥٤٦٥هـ): شكايه أهل السنة بحكاية ما نالهم من محنة، تحقيق: محمد خالد ذو الغنى، محمد يوسف إدريس، دار النور المبين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (٢٠١٦م).
- تاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت ٥٧٧١هـ)، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق: أحمد ليلة، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، القاهرة، (١٩٨٩م).
- الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، شرح الكوكب الساطع، تحقيق: محمد الحفناوي، طبعة دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، (٢٠٠٨م).
- أحمد البدوي سالم محمد سالم، موقف المتكلمين من إيمان المقلد، مجلة الدراية، العدد (١٥)، (٢٠١٥م).
- عبد الكريم الشهرستاني، نهاية الأقدام في علم الكلام، صححه: ألفريد جيوم، المكتبة الفلسفية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (٢٠٠٩م).
- الإمام جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد السلام هارون، وعبد العالم سالم مكرم، طبعة مؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م).
- علي عبد الفتاح المغربي، أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٩٨٥م).
- الإمام مسعود بن عمر عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، طبعة دار الطباعة العثمانية العامرة، (١٢٧٧هـ).
- عبد الرحيم بن علي الشهير بشيخ زاده (ت ١٠٧٨هـ)، نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في العقائد، طبعة المطبعة الأدبية، مصر، الطبعة الأولى، (١٣١٧هـ).
- نور الدين محمد بن أبي الطيب الشيرازي الشافعي، شرح الشيرازي على منظومة السبكي في بيان الاختلاف بين الأشعرية والماتريدية في علم التوحيد، (١٩١٦م علم الكلام)، (١٣/و)، نقل النص كاملاً صاحب الروضة البهية عن الشارح محمد بن أبي الطيب الشيرازي، حسن بن عبد المحسن، الشهير بأبي عذبة، الروضة

- البهية فيما بين الأشاعرة والماتريديّة، تحقيق: أحمد ليلة، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، القاهرة، (١٩٨٩م).
- الشيخ عبد القاهر البغدادي، أصول الدين للبغدادي، تحقيق: أحمد شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (٢٠٠٢م).
  - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي البخاري، صحيح البخاري "تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب بدء الوحي، باب ما ينهى من السباب واللعن.
  - مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم" تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١ / ٧٩)، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، (٦٠).
  - محمد عمارة، (٢٠٠٦م): فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية، والصوفية، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.
  - الإمام الأكبر أ. د: أحمد الطيب، (٢٠١٦م): أهل السنة والجماعة، طبعة دار القدس العربي، القاهرة، الطبعة الثانية.
  - أبو الحسن الأشعري، (١٩٩٠م): مقالات الإسلاميين، تحقيق: محمد محيي الدين، طبعة المكتبة العصرية.
  - وسام رزوق، (٢٠١٨م): الخطاب الأشعري: موقفه من المخالف ودعوى تحوله إلى منطق التضليل والتكفير، الناشر مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات، مجلة الإبانة، العدد (٥).
  - كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور: أحمد الطيب، (٢٠١٦م): في مؤتمر الشيشان الذي عقد تحت عنوان: "من هم أهل السنة والجماعة؟" في مدينة غروزني في الفترة من ٢٥ إلى ٢٧ أغسطس عام ٢٠١٦م".
  - ابن عساکر، (د. ت): تبیین کذب المفتری فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: الشيخ الكوثري، المكتبة الأزهرية، الطبعة الأولى.
  - جمال البختي، (٢٠١٨م): التأسيس العقلي لجدلية الإيمان والفكر في الفكر الأشعري، مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات، مجلة الإبانة، العدد (٥).
  - ابن أبي زيد القيرواني، (د. ت): شرح الشيخ زروق على متن الرسالة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
  - بشير الفلعي، (٢٠٠٨م): التكفير: مفهومه، خطورته، موقف الإسلام منه، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية، العدد (٩).
  - أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني (٤١٩ - ٥٤٧٨هـ)، (٥١٤٠١هـ): الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، الطبعة الثانية.

- محمد أبي حامد الغزالي الطوسي، (١٩٦٦م): الاقتصاد في الاعتقاد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأخيرة.
- محمد أبي حامد الغزالي الطوسي، (د.ت): فيصل التفرقة (ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي)، تحقيق: إبراهيم أمين، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر.
- ربيع حسنين محمد حسنين، (٢٠٢٢م): جهود الأشاعرة في مواجهة ظاهرة التكفير وتجفيف روافدها، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، أسيوط، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، سوهاج، العدد (٢٨).
- الإيجي، (١٩٥٨م): شرح الدواني على العقائد العضدية للإيجي، (ضمن كتب: محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين)، تأليف: سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى.
- الفخر الدين الرازي، (٢٠١٥م): نهاية العقول، تحقيق: سعيد فودة، دار الذخائر، بيروت، الطبعة الأولى.
- الإمام البخاري، (٢٠٠٦م): صحيح الإمام البخاري: كتاب الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة، حديث رقم ٣٩١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى.
- فخر الدين الرازي، (١٩٩٩م): معالم أصول الدين، تحقيق: أحمد حجازي، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى.
- علي بن أحمد الشهري، التكفير عند متأخري الأشاعرة، مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأندلس للعلوم والتقنية، العدد (٩٦)، (٢٠٢٤م).
- علي بن عبد الكافي السبكي، الدرّة المضية في الرد على ابن تيمية، مطبعة الترقى، (١٣٤٧هـ)، (١٥١-١٥٢).
- عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحلیم محمود ود. محمود بن الشريف، دار المعارف - القاهرة.
- إبراهيم بن علي الشيرازي: شرح اللمع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٨٨م).
- عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أصول الدين، مطبعة الدولة، إستانبول، الطبعة الأولى، (٥١٣٤٦).
- علي بن عبد الكافي السبكي، الدرّة المضية في الرد على ابن تيمية، مطبعة الترقى، (٥١٣٤٧).
- أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الكبير، السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، - ويقصد به ابن القيم-، المكتبة الأزهرية للتراث، درب الأتراك، مصر، ومعه تكملة الرد لمحمد زاهد ابن الحسن الكوثري، (ص ٤١).
- حسان بن إبراهيم الرديعان، عقيدة الأشاعرة دراسة نقدية لمنظومة جوهرة التوحيد، دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى، (٥١٤٣٢).

- أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، (٥١٣٧٩م).
- أبو حامد الغزالي، فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة، دار المنهاج، الطبعة الأولى، (٢٠١٧م).
- عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٩٧٧م).
- علي بن عبد الكافي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٨٤م).
- عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة همر، مصر، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ).
- محمد بن يوسف السنوسي، شرح العقيدة الصغرى، وهو شرح العقيدة المسماة "أم البراهين"، دار التقوى، دمشق، الشام، الطبعة الأولى، (٢٠١٩م).
- أحمد بن محمد الصاوي، الشرح الصاوي على جوهر التوحيد، تحقيق: د. عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، (د.ت).
- محمد شقرون الوهراني، الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين"، دار الصحابة للتراث، طنطا، (١٩٩٢م).
- هاجر ناجي، الأمن الفكري والعقدي عند أشاعرة الغرب الإسلامي: الشيخ أبو عبد الله النواتي أنموذجا، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، مخبر جمع دراسة وتحقيق مخطوطات المنطقة وغيرها، مجلد (١٢)، العدد (٢)، (٢٠٢٢م).
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي، "شرح أم البراهين"، مطبعة الاستقامة، الطبعة الأولى، (١٣٥١هـ).
- الإمام أبي العباس أحمد الفارسي (ت ٥٩٥هـ)، "نظم الفرائد ومبدي الفوائد لمحصل المقاصد، لابن زكري التلمساني (ت ٥٩٠هـ)"، تحقيق: عبد الرازق دحمون، الطبعة الأولى، (٢٠١٤م).
- أبو العباس أحمد المنجور الفاسي (ت ٥٩٥هـ)، "نظم الفرائد ومبدي الفوائد في شرح محصل المقاصد لابن زكريا التلمساني (ت ٥٩٠هـ)"، تحقيق: عبد الرازق دحمون، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، (٢٠١٤م).
- البيجوري، (٢٠٠٢م): حاشية الإمام البيجوري على جوهر التوحيد - المسمى - تحفة المرید على جوهر التوحيد، تحقيق: علي الشافعي، دار السلام للطباعة، والنشر، والتوزيع، والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى.

- إمام الحرمين الجويني، (١٩٥٠م): الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني (٤١٩ - ٤٧٨)، تحقيق: محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر.
- عبد الرحمن الإيجي، (١٩٩٧م): المواقف، دار الجبل، بيروت، الطبعة الأولى.
- تقي الدين ابن تيمية الحراني، (١٤٢٢هـ): جامع الرسائل، تحقيق: محمد رشاد، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى.
- عبد الرحمن بن ناصر البراك، (٢٠٠٩م): توضيح مقاصد العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثانية.
- عبد الرحمن بن صالح المحمود، (د. ت): شرح لمعة الاعتقاد، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الموقع: <https://shamela.ws/book/7740>
- محمد بن أبي العز، (٢٠٠٥م): شرح العقيدة الطحاوية، ناصر الدين الألباني، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى.
- أبو الحسن الأشعري، (١٤٢٢هـ): الإبانة عن أصول الديانة، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى.
- سلوى بنت عبد الله بن محمد الحمدان، (٢٠١٨م): مذهب الأشاعرة في صفات الله تعالى والرد عليهم، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، المؤسسة العربية للاستثمارات العلمية وتنمية الموارد البشرية، العدد (١٣)، الجزء (١).
- الرازي، (١٤٠٦هـ): أساس التقديس، تحقيق: أحمد السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- محمد بن أبي العز، (٢٠٠٥م): شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: ناصر الدين الألباني، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى.
- محمد حسن عبد الغفار، (د. ت): شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الملف متاح على الرابط التالي: <https://shamela.ws/book/37696>
- محمد بن يوسف السنوسي، (٢٠٠٦م): شرح العقيدة الكبرى، تحقيق: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- محمد بن بلقاسم الفجيجي، (٢٠١١م): شرح صغرى الصغرى، دار المفيد، الطبعة الأولى.
- محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠)، (د. ت): جامع البيان في تفسير القرآن، دار هجر، الطبعة الأولى.

- محمد الحسين بن مسعود البغوي، (١٩٩٧م): معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، دار طيبة، الطبعة الرابعة.
- محمد بن أحمد القرطبي، (٢٠٠٣م): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- محمد بن عمر، (د.ت): الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان..
- محيي الدين النووي، (د.ت): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- محمد خليل محمد النويهي، (٢٠١٨م): الصفات السلبية عند الأشاعرة وأدلتها النقلية والعقلية: دراسة تحليلية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، العدد (٣٥)، الجزء (٢).
- أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، (د.ت): شرح صحيح مسلم، متوفر على الموقع التالي:  
<https://shamela.ws/book/37026>، تم الدخول للموقع بتاريخ: ٢٠٢٤/٩/١٩م.